مِن أجلِ عينيها

ميخائيل خوري

بيت الحكمة

hachette أنطوان



مِنْ أَجْلِ عَينَيها

بيت الحكمة
بيروت

مِن أجلِ عينيها

ميخائيل خوري

الضّبط اللّغويّ والاستثمار التّربويّ: خليل السّيقلي
الغلاف، التّصميم والرّسم: ساندرا غصن
الدّاخل، الرّسوم: جوزف دكّاش

hachette
أنطوان .A

مِنْ أُجْلِ عَينَيها

متابعة النّشر: نيكول عقيقي المصوّر

التّصميم المنهجيّ: Christie's *for printing and advertising*

ر.د.م.ك. 0 - 325 - 26 - 9953 - 978

النّاشر: هاشيت أنطوان Hachette Antoine

الطّبعة الأولى 2011

ص.ب. 0656-11، رياض الصّلح

2050 1107 بيروت، لبنان

العنوان التّجاريّ: سنّ الفيل، حرج تابت، بناية فورست

هاتف: 483513 - 1 - 961

بريد إلكترونيّ: info@hachette-antoine.com

قصّة

مِنْ أَجْلِ عينَيها

أَلحِكايةُ الّتي نَرويها هُنا هي حِكايةُ شابٍّ فِنْلَنْديٍّ في العِشرينَ مِن عُمرِهِ يُدعى أَنطونَ. عُرِفَ هَذا الشّابُّ بِنَشاطِهِ و**مُثابَرتِه** على العملِ، مِن غيرِ أَن يَتأَثَّرَ بالبَردِ الشَّديدِ، أَوِ الثُّلوجِ، أَوِ الرِّياحِ القارسةِ. ومِن عاداتِ أَبناءِ تِلكَ المَنطِقةِ مِن «فِنْلَنْدا» أَنَّ الشّابَّ يَجبُ أَن يَكونَ له مَنزِلُه الجاهزُ للسَّكَنِ، وَحقلُه، قبلَ أَن يَتزوَّجَ. هَذا مَبدأٌ لَم يَكُنْ لأَيِّ شابٍّ أَنْ يَحيدَ عَنهُ. ومِن عادةِ الوالدِ والابنِ، حينَ يَبلُغُ هَذا الأَخيرُ سِنَّ الزَّواجِ، أَن يَقوما معاً، في أَوائلِ الخَريفِ، بالبَحثِ عَن

المثابَرةُ: المداوِمَةُ والمواظَبةُ.

قِطعةِ الأَرضِ المُناسِبةِ لبِناءِ البيتِ الزَّوجيِّ، ثُمَّ يُحدِّدا قياساتِ المَنزِلِ الهَندسيَّةَ. وإذا كانَ الوالدُ يُسعِفُ ابنَهُ في بِناءِ البيتِ، فإنَّ الِابنَ هو الَّذي يَقومُ بحَفرِ أَساسِ البيتِ بنَفسِهِ.

ومعَ البَدءِ ببِناءِ المَنازِلِ تَبدأُ نِساءُ القريةِ بالحديثِ عَنْ هَذا الزَّواجِ المُنتظَرِ، وبالتَّساؤلِ عَنِ الفتاةِ الّتي يُريدُها هَذا الشّابُّ أَو ذاكَ زَوجةً له. وتأخُذُ الفَتياتُ بالتَّنزُّهِ جَماعاتٍ أمامَ المَنازِلِ الّتي تُشادُ، وقَدْ شَكَكْنَ الأَزهارَ في خُصورِهِنَّ، وَرَبَطْنَ الشّالاتِ الخَضراءَ على رؤوسِهِنَّ.

وطبيعيٌّ أَن تَكونَ كلُّ فتاةٍ قَد عَرَفَتْ في سِرِّها الشّابَّ الّذي انتَقاها عَروساً لأَحلامِهِ. ولِذا كانَتْ كلُّ فتاةٍ تَقفُ في نُزهتِها هَذهِ بِضْعَ دقائقَ عندَ المَوْقعِ الّذي اختارَهُ فارسُ أَحلامِها، تَتأمَّلُ أَعمالَ بِناءِ بيتِها المُقْبِلِ، وتَتحقَّقُ أَنَّهُ سيَكونُ جاهزاً في الرَّبيعِ التّالي، وهُو مَوْسِمُ الزَّواجِ التَّقليديُّ.

تحقَّقَ الإنسانُ الأمرَ: تَيَقَّنَهُ وَعَلِمَهُ جَيِّداً.

بَلَغَ أَنطونُ سِنَّ العِشرينَ. فهُو، إذاً، مُرشَّحٌ للزَّواجِ. ولِذا غادرَ القريةَ لِلعملِ في مَنجَمٍ بعيدٍ عَنِ القريةِ، لجَمعِ المالِ اللّازمِ لِبناءِ المَنزِلِ. لقَدْ شاءَ أَن يَجمعَ مالاً كافياً لِبناءِ مَنزِلٍ كبيرٍ وجميلٍ يَفوقُ المَنازلَ الأُخرى سَعةً وجَمالاً، إرضاءً لفَتاتِهِ الجميلةِ زاسْكا. كانَ حبُّه لها شديداً، ولِذا أَرادَ أَن يَكونَ مَنزِلُه أكبَرَ مِن أيِّ مَنزِلٍ آخَرَ. كانَ قَد عَرَفَها أيّامَ الدِّراسةِ. وكَمْ حَمَلَ لها كُتُبَها إلى مَنزِلِها، وكَمْ ساعدَها في طريقِ العَودةِ حينَ تَتساقطُ الثُّلوجُ، أَو تَهُبُّ الرِّياحُ عاصفةً، واضعاً مِعْطَفَهُ الكَثيفَ على كَتِفَيها وِقايةً لها. وكَثيراً ما تَحادثا في نُزُهاتٍ مُشتَركةٍ تَقومُ بِها عائلتاهُما إلى الحَمّاماتِ البُخاريَّةِ. لقَدْ كانَ خِيارُ كلٍّ مِنْهُما معروفاً جيِّداً، فهُو لها، وهِي له، ولَو أنَّ الشّابَّ لَم يَكُنْ قَد أَطلعَ والدَهُ عَلى رَغبتِهِ في أَن تَكونَ زاسْكا له زَوجةً. حتّى إنَّهُ لَم يَكُنْ قَد فاتَحَ مَحبوبَتَهُ نَفْسَها بهَذا الشَّأنِ بطَريقةٍ مُباشِرةٍ وصريحةٍ.

وبَقيَ أَنطونُ غائباً مدَّةً زادَتْ عَنِ المألوفِ، فجاوَزَ غيابُه السَّنةَ. كانَ حبُّه العميقُ لها يَدفعُه إلى تَشييدِ

مَنزِلٍ يُثيرُ غَيرةَ الفَتَياتِ الأُخْرَياتِ، ويَزيدُ في مَقامِهِ بينَ الشُّبّان. وَهكَذا قَضى في عملِهِ بِضعةَ عَشَرَ شهراً يَعمَلُ بجِدٍّ ونشاطٍ، يَحرِمُ نَفسَهُ في غُربتِهِ مِن أَشياءَ كثيرةٍ، إلّا مِنَ التَّفكيرِ في فَتاتِهِ ذاتِ الزَّنْدَينِ النّاعمَينِ، والعُنُقِ البَضِّ الأَبيضِ، والشَّعْرِ الذَّهبيِّ المُرْسَلِ على العُنقِ والكَتِفَينِ، والعَينَينِ الزَّرْقاوَينِ اللَّتَينِ كانَ يَسبحُ في صفائِهِما ولا يَشبَعُ. كانَ يَرفُضُ أَن يَستريحَ، جاهداً أَن يَكونَ المالُ الّذي يُوفِّرُه كافياً لتَحقيقِ أُمنِيَّتِهِ كُرْمى لِلمَحبوبةِ. ولِمَ لا يُحقِّقُ لها هَذا، وهِيَ المُتفوِّقَةُ جَمالاً وعُذوبةً؟

... وأَخيراً عادَ أَنطونُ بعدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ شهراً، وَقَدْ شَحَبَ قَليلاً، لَكنَّهُ كانَ يَحمِلُ مِنَ الدَّراهِمِ شَيئاً كثيراً. وسُرْعانَ ما اختارَ الوالدُ والاِبنُ مَوقعَ البِناءِ، وراحا معاً يَضعانِ النِّقاطَ اللّازمةَ لتَحديدِ هَيكليَّةِ البيتِ الجديدِ ورُقْعَتِهِ. ولَحَظَ الوالدُ اتِّساعَ رُقعةِ البيتِ، فقالَ لِابْنِهِ

البَضُّ: النّاعمُ الرَّقيقُ.

شَحبَ: تغيَّرَ لونُه مِن جوعٍ أو مَرضٍ أو إرهاقٍ.

بلُطفٍ، وبصوتٍ هادئٍ:

ـ أَلَيسَ المَنزِلُ كبيراً يا بُنَيَّ؟

ـ لا!

وابتَسمَ الوالدُ ابتسامةً عريضةً، وقَدْ أَدركَ ما يَجولُ في خاطِرِ وَلَدِهِ، وَأَضافَ:

ـ إذاً يجبُ أَن يَكونَ الحَمّامُ البُخاريُّ أَكبرَ مِنَ المألوفِ. ويَجبُ أيضاً أَن يَكونَ الإسْطَبلُ كبيراً. يجبُ أَن تُحافِظَ على التَّناسُبِ بَينَ أَقسامِهِ.

وهَزَّ الوَلَدُ برأسِهِ علامةَ المُوافَقةِ.

وكانَ طبيعيّاً أَن يَعْمِدا إلى إعادةِ الكَيْلِ والقِياسِ مَرّةً بعدَ مَرّةٍ لتأتيَ الأَبعادُ مُتناسِبةً مُتَناسِقةً. أَلبيتُ الكبيرُ لا بُدَّ له مِن حَمّامٍ بُخاريٍّ كبيرٍ. ولا بُدَّ له أيضاً مِن إِسْطَبلٍ كبيرٍ. يَجبُ أَن يَحذَرا الخطأَ، فالمَرءُ لا يَبني غيرَ بيتٍ واحدٍ في حياتِهِ. ثُمَّ، أَلَيسَ المالُ الّذي جَمَعَهُ أَنطونُ أَكثرَ مِمّا جَمَعَهُ أيُّ شابٍّ آخَرَ؟

وكثيراً ما كانَ أَبناءُ القريةِ يَمُرّونَ بجانبِ هَذا المَوقِعِ ويَعْجَبونَ. وكثيرونَ مِنهُم قَصَدوا مَنزِلَ زاسْكا

يُخبِرونَها عَنِ المَنزلِ الكبيرِ الّذي يَستعدُّ أَطونُ لِبنائِهِ. وكثيراتٌ هُنَّ الفَتَياتُ الّلواتي داعَبْنَها ومازَحْنَها، مَحبَّةً بها، أَو غَيرةً مِنها، مُشيراتٍ إِلى أنَّ البناءَ لَن يَكتمِلَ في الرّبيعِ التّالي، مَوعِدِ احتفالاتِ الزّواجِ. ولَكنَّ زاسْكا كانَتْ تَثِقُ بأَنطونَ، وتَعلمُ أَنَّ التّأخيرَ ناتجٌ مِن مَشاريعِهِ الكبيرةِ وآمالِهِ العِظامِ. أَلَيسَ هَذا هو ما لَحَظَتْهُ في فَتاها يومَ غادرَ القريةَ لِيعملَ في مَنْجَمٍ بعيدٍ، ويومَ عادَ بعدَ طولِ غيابٍ وفي بَريقِ عَينَيهِ وَهْجُ الانْتِصارِ؟

لقَدْ غاظَها وآلَمَها أَن يَتندَّرَ الشُّبّانُ مُتَسائلينَ عمّا يَدورُ في ذِهنِ أَنطونَ، مُشكِّكينَ بإِخلاصِهِ لِزاسْكا. وأَثارَها أَنْ يَتَساءلوا هَلِ المالُ الّذي جَمَعَهُ كافٍ لِإتمامِ مِثلِ هذا البيتِ؟ ولِكَثرةِ ما سَمِعَتْ مِن سُخْرِيَّةِ الشُّبّانِ وانتقادِهِم أَنطونَ على تأَخُّرِهِ في البِناءِ، كادَ الخوفُ أَن يُداخِلَ قلبَها، لَولا أَنَّ شاباً رصيناً وَصَفَ لها مُثابَرةَ أَنطونَ وإِصرارَهُ في غُربتِهِ، ورَوى لها كيفَ أَنَّ أَنطونَ

الوَهْجُ: الحرارةُ

كانَ لا يُضيّعُ أيَّ وقتٍ أَو مالٍ، غيرَ مُبالٍ إلّا باليومِ الّذي تَتضخّمُ فيه جُيوبُه بالمالِ ليَعودَ به إلى قريتِه لبِناءِ البيتِ. وفي حينِ راحَ عَددٌ مِنَ الشُّبّانِ يَشعرونَ بالنَّدَمِ على ما أَضاعوهُ مِن وقتٍ ومالٍ، وبالخَجَلِ والحَسَدِ لكَونِهِم عاجِزينَ عَن مُنافسةِ أَنطونَ، كانَتْ زاسْكا تَقْصِدُ مَوقعَ البيتِ لِترى التَّخطيطَ. سَرَّها ما شَهِدَتْ، وأَحسَّتْ بالزَّهْوِ والفَخْرِ، لكنَّها لَم تَستطِعْ أَنْ تَطرُدَ كُلِّيًّا ما تَسرَّبَ إِلَيها مِن مَخاوفَ.

وفي اليومِ التّالي بَدأَ أَنطونُ بالحَفْرِ، وراحَ والِدُه يَرْقُبُه وهُو يَعمَلُ بنَشاطٍ. وكانَ يُضاعِفُ هَذا النَّشاطَ إِذا مرَّ به شخصٌ فحدَّثَهُ، وأَضاعَ عليهِ ولَو دقائقَ قليلةً مِن وقتِهِ. ومَضَتْ أيّامٌ وأَسابيعُ كانَتْ فيها زاسْكا تَقصِدُ المَوقعَ في المساءِ لتَرى ما تَحقَّقَ مِنَ البِناءِ. وكانَتْ تُحِسُّ بشيءٍ مِنَ الخَيبةِ والأَلَمِ حينَ تَرى مَنازِلَ أُخرى صغيرةً أَخذَتْ تَرتفعُ عاليةً، في حينِ أَنَّ مَنزِلَ أَنطونَ، مَنزِلَها في المُستقبَلِ القريبِ، لَم يَرتفعْ مِثْلَها. لكنَّهُ



أكثرُ مِنها اتّساعاً، وأجملُ مَوقِعاً. ومعَ أنَّ البِناءَ قَد تأخَّرَ، إلّا أنَّ أَنطونَ استطاعَ أَن يُواصِلَ العَملَ في فصلِ الشِّتاءِ القاسي لتعويضِ هَذا التَّأخيرِ. فامتَلأَ قبُ زاسْكا زَهْواً وإعجاباً، وزادَتْ حبّاً لِفَتاها. وقرأَ أَنطونُ زَهْوَها وإعجابَها في عَينَيها، وزادَ إصراراً على أَن يَكونَ بيتُه أَكبرَ مَنزِلٍ. غيرَ أنَّ المالَ الَّذي جَمعَهُ كانَ يَتَناقصُ بِسُرعةٍ.

ورَفَضَ أَنطونُ أَن يَستعمِلَ الخَشبَ العاديَّ لِلنَّوافذِ والسَّطحِ، فَقَصدَ غابةً بعيدةً تَختلِفُ عَنِ الغاباتِ العاديَّةِ المألوفةِ، ليأتيَ بنوعٍ جديدٍ مِنَ الخَشبِ، أَصلبَ وأَمتَنَ مِنَ الخَشبِ العاديِّ، ولكنَّهُ أَكثرُ كُلْفَةً!

مَرَّةً أُخرى عادَ الشُّبّانُ لِلتَّندُّرِ والتَّساؤلِ والشَّكِّ. ومَرّةً أُخرى أَخذَتِ الفَتَياتُ بالحديثِ عَن قُربِ مَوْسِمِ الزَّواجِ! فصلُ الرَّبيعِ يَقترِبُ بسُرعةٍ، ومَنزِلُ أَنطونَ لَن يَكتمِلَ هَذا الرَّبيعَ! لقَدْ تَبرَّعَ أَنطونُ بمَبلغٍ كبيرٍ مِنَ المالِ في حَفلةٍ لدارِ الأيتامِ، وَفْقَ ما تَقضي به عادةُ القَريةِ في مِثلِ هَذهِ المُناسَبةِ، فكانَ بهذا أَسخى

مِن أترابِهِ الَّذينَ تبرَّعوا بِمَبالغَ صغيرةٍ. وأُعجبَتْ به راسْكا، ولَكنَّ تَوَقُّفَ أنطونَ عَنِ البِناءِ أثارَ شماتَةَ أقرانِهِ وحُسّادِهِ. كيفَ تَرُدُّ راسْكا على هَذِهِ الشَّماتةِ؟ إنَّها تُدرِكُ تَمامَ الإدراكِ أَنَّ التَّوقُّفَ عَنِ العَملِ كانَ نتيجةَ غيابِهِ لجَلبِ نَوعٍ مَتينٍ وصُلبٍ مِنَ الخَشبِ. ولكنَّ الشُّبّانَ الآخَرينَ المُقبِلينَ على الزَّواجِ كادوا يُنجِزونَ بِناءَ مَنازِلِهِم. والفَتَياتُ الأُخْرَياتُ سيَتزوَّجْنَ بعدَ أَسابيعَ قليلةٍ. أَمّا مَنزِلُ أَنطونَ فلَنْ يَكتمِلَ في الرَّبيعِ، على ما يَبدو!

ولَحَظَ أَنطونُ نِظرةً جديدةً في عَينَي فَتاتِهِ ظَنَّها، على ما قالَ لوالِدِهِ، تَعبيراً عَن شِدَّةِ حبِّها له وتَعلُّقِها به. ولَكنَّ والدَتَهُ نبَّهتْهُ إلى وُجوبِ الإسراعِ في العَملِ. كانَتْ تَرى أنَّ الرَّبيعَ أَوشَكَ أَن يُطلَّ، وكانَتْ تَخشى أَن يَنْفَدَ صَبرُ الفتاةِ فتَتَخلّى عَنِ ابنِها. وهُنا قالَ أَنطونُ معلِّقاً على تَنبيهِ والدتِهِ:

ـ أَلنِّساءُ لا يَعْرِفْنَ شيئاً عَن مِثلِ هَذهِ الأُمورِ!

الأترابُ: مفردُها التِّربُ وهو المماثِلُ في السِّنِّ.

وسَكَتَتْ والدتُه، وعادَتْ تَجلِسُ قُربَ النّارِ، وهِي تَعجَبُ مِن حَماقةِ الرِّجالِ وجَهلِهِم في هَذِهِ الأُمورِ، وادِّعائِهِم مَعرفةَ كلِّ شيءٍ!

ويوماً بعدَ يومٍ، بدأَتْ زاسْكا تَرى في هَذا البُطءِ إهانةً لها. أَتُراهُ لا يُحبُّها؟ ثُمَّ راحَتْ تَتجنَّبُ المُرورَ أمامَ مَوقعِ البِناءِ.

وأمّا أَنطونُ فأَعماهُ حبُّه لفتاتِهِ عَن مُلاحظَةِ التَّغيُّرِ الّذي طَرأَ علَيها. لقَدْ أَعماهُ فَرَحُه عَن رُؤيةِ حقيقةِ ما كانَ مكتوباً في نَظَراتِها. لقَدْ ظَنَّ أنَّهُ بعَملِهِ المَدروسِ المُتْقَنِ البطيءِ يَزيدُ حبَّها له وإِعجابَها به. غَرَّهُ حبُّه لها وحِرصُه على أَن يَكونَ بيتُه كبيراً ومتيناً، صامداً في وَجْهِ أيِّ عاصفةٍ. وجَهِلَ ما يَعتمِلُ في قلبِ زاسْكا ويَضطرِبُ فيه مِن استياءٍ للتَّأخيرِ وحِرمانِها مِن مُشارَكةِ الفَتَياتِ الأُخرَياتِ في فرحَةِ العُرسِ الّتي تَنتَظِرُها بفارغِ صَبرٍ. أحلامُهنَّ تَتحقَّقُ. أمّا أحلامُها؟ أَلَيسَ البُطءُ دليلاً على أنَّ أَنطونَ لا يُحبُّها كما يُحبُّ الآخَرونَ فَتَياتِهِم؟ أَلَيسَ في البُطءِ ما يُسيءُ إلى السَّعادةِ؟

وأَقبلَ الرَّبيعُ؟ أَلمَنازِلُ الأُخرى باتَتْ جاهزةً. والشُّبّانُ باتوا يَتهيّؤونَ ليومِ العُرسِ. والفَتَياتُ كُنَّ في فَرحٍ غامرٍ. لقَدْ أَعْدَدْنَ العُدَّةَ أَثناءَ ليالي الشِّتاءِ. أمّا مَنزِلُ أنطونَ فقَدْ ظلَّ غيرَ مُكتمِلٍ، وهذا ما زادَ في غُصَّةِ زاسْكا وشُعورِها بالحُزنِ العميقِ.

وفي هذا الرَّبيعِ عادَ إلى القريةِ شابٌّ كانَ قَد غادَرَها قبلَ سَنَواتٍ ليَعيشَ في المدينةِ، عازفاً بِعودِهِ في حَفَلاتِ الزَّواجِ ومُناسَباتِ الأَفراحِ، يُدعى كانْتا. كانَ أَسمرَ الوجهِ، وحيداً بينَ شُبّانِ القريةِ بِهذا اللَّونِ النّاضِجِ، شاحِبَ اللَّونِ قليلاً، ذا شارِبَينِ رقيقَينِ، يتَّصفُ بِرِقَّةٍ كرِقَّةِ موسيقاهُ، وبِعُذوبةٍ كعُذوبةِ اللَّحنِ الّذي يَنطلِقُ مِنْ عودِهِ حينَ يُداعِبُه بريشتِه. وكانَتْ عَودتُه مُصادِفةً ليومِ العُرسِ الأوَّلِ. لَم يَكُنْ قَدْ جَمعَ مالاً مِن عَملِهِ، لَكنَّهُ كان معروفاً في دُنيا الفنِّ، وهِيَ غيرُ دُنيا العَملِ العاديِّ الّذي لا يَستهدِفُ غيرَ بِناءِ المَساكنِ لإيواءِ الأزواجِ. كانَتْ شُهْرَتُه قَدْ مَلأَتِ المدينةَ الّتي قَضى فيها سَنَواتِ الغُربةِ، وسَبَقَتْهُ إلى بَلدتِهِ. وتَردَّدَ صاحِبُ

العُرسِ الأوَّلِ في دَعوَتِهِ لِلعَزفِ في الاحتفالِ، لَكنَّهُ عادَ فدَعاهُ حينَ عَلِمَ أنَّ موسيقاهُ ستَكونُ مُغريةً لأَبناءِ القريةِ جميعاً لحُضورِ حفلةِ قِرانِهِ، إذ لَم يَكُنْ يَجهلُ أَنَّ بينَ زُملائِهِ مَنْ يُحبُّ الفنَّ.

والواقعُ أنَّ العُرسَ كانَ حافلاً. حضَرَهُ الشُّبّانُ كلُّهم بمَن فيهِم أنطونُ، وحضَرَتْهُ الفَتَياتُ كلُّهنَّ بمَن فيهِنَّ زاسْكا. فالعَروسانِ عزيزانِ. ثُمَّ إنَّها مُناسَبةٌ لِلقاءِ الأَحبابِ، إلّا زاسْكا، فقَدْ تعمَّدَتْ أَن لا تَقَعَ عَيناها على أَنطونَ. كانَتْ حائرةً بينَ حُبٍّ أكيدٍ تأثَّرَ بتَصرُّفاتِ الحبيبِ البطيئةِ، وغَيرتِها مِن صَواحِبِها الّلواتي ضَمِنَّ المَنازلَ وحَدَّدْنَ مواعيدَ العُرسِ، واهتمامِها بِكاتْنا الّذي كانَتْ أَنغامُ موسيقاهُ تُلامِسُ أَوتارَ قَلبِها الحائرِ. لقَدِ استطاعَ أَن يَخلُقَ جوّاً جديداً جَعلَ الّذينَ تَردَّدوا في دَعْوتِهِ باديَ الأمرِ يَشعرونَ بالخطأِ في تَردُّدِهِمْ، فقاموا كلُّهم يَدعونَهُ إلى الأَعراسِ التّاليةِ.

وظَنَّ أَنطونُ أنَّ زاسْكا تميلُ بنَظرِها عَنهُ وتَتعمَّدُ تَجاهُلَهُ بُغيةَ إثارةِ غَيرتِهِ. فانسَحبَ مِنَ الاحتفالِ وهُوَ

يَقولُ لنَفسِهِ إنَّها مُخطِئةٌ بِهذا الظَّنِّ، لأنَّهُ لن يَغارَ مِن هَذهِ التَصرُّفاتِ. أمّا المُحِبّونَ الباقونَ فكانَ جوُّ المَرحِ والنّشوةِ يُثيرُهُم ويَدفعُهُم لِلإجادةِ في الرّقصِ والغِناءِ، وتَبادُلِ الأَحاديثِ والنَّظْراتِ العاطفيّةِ. لقَدْ أَدخلَ هَذا الفَنّانُ عُنصُراً جديداً على حياتِهِم.

وَتحدَّثَ كانْتا بأَناقةٍ عَنِ المدينةِ الّتي عاشَ فيها، وعَن حَفَلاتِ الزّواجِ هُناكَ، وعَنِ الأَضواءِ والمَساكِنِ فيها، وعَنِ الفَتَياتِ والشُّبّانِ. وكانَ طبيعيّاً أَن تَخفُقَ القُلوبُ لسَماعِهِ. وكأنَّ الحُبَّ الّذي عَرَفَتْهُ زاسْكا فتحَ قَلبَها على دُنيا جديدةٍ. ولَكنْ... أَينَ أنطونُ؟ كانَتْ كالثّمَرةِ النّاضجةِ، فهَلْ تَكونُ أَصابعُ الموسيقارِ هي الّتي تَقطِفُها بَدلَ أَصابعِ أنطونَ؟

وانتَهى هَذا الاحتِفالُ... وتَوالَتِ احتِفالاتٌ أُخرى تَجنّبَها أَنطونُ، وتَجنَّبَتْ زاسْكا حُضورَها. كانَ حُبُّها لأَنطونَ أَقوى مِن استِيائِها منهُ، وأَقوى أيضاً مِن إغراءاتِ كانْتا وموسيقاهُ وأحاديثِهِ، ففَضَّلَتِ الانتظارَ...

ومَضَتْ أسابيعُ... أَنطونُ يُواصِلُ العَملَ لإنجازِ

المَسكَنِ، وزاسْكا تُلازِمُ مَنزِلَها إلى جانبِ والدتِها، وكانْتا يَتساءلُ في نَفسِهِ هَل كانَتْ ثَروتُه الفنّيّةُ كافيةً لإشباعِ طُموحاتِ زاسْكا واستِمالتِها إلَيهِ وقَبولِها به زَوجاً؟ لَم يَستطِعْ أَن يَجمعَ مالاً ليَبنيَ بيتاً، فهَل تَقبلُ به زاسْكا؟ وراحَتْ أحاديثُ أَهلِ القريةِ تَدورُ حولَ الثّلاثةِ: فمِن قائلٍ إنَّ أَنطونَ أساءَ إلى زاسْكا، ومِن قائلٍ إنَّ زاسْكا لَن تغفِرَ له إساءَتَهُ، ولِذا ستَكونُ لِكانْتا، ومِن قائلٍ إنَّ كانْتا لَن يَحظى بيَدِ زاسْكا لعَجزِهِ عَن بِناءِ مَنزِلٍ.

ولَكنَّ كانْتا قرَّرَ في النِّهايةِ أَن يَتقدَّمَ مِن زاسْكا طالباً يَدَها، مُقدِّماً لها ما حقَّقَهُ مِن نجاحٍ في دُنيا الفنِّ، مُصوِّراً لها سعادتَهُما، أو شقاءَهُما، معاً، بكَلِماتٍ تَزيدُ السّعادةَ حلاوةً، أَو تُضفي على الشَّقاءِ مُتعةَ الرِّضى به. ماذا تَفعلُ زاسْكا في مِثلِ هَذهِ الحالةِ؟ وهَل تَنْسى أنطونَ؟ وهَل تَجذِبُها مُتعَةُ الفنِّ؟

ألواقعُ أنَّ أَنطونَ جدَّ حتّى أَنجزَ بِناءَ المَسكَنِ. إنَّ قلبَهُ العامرَ بالحُبِّ دَفعَهُ إلى إنجازِ البِناءِ معَ انتهاءِ

فصلِ الرَّبيعِ. كانَ واثقاً بانتصارِهِ. وحَملَ مِفتاحَ البيتِ الجديدِ ولَو مُتأخِّراً قليلاً، وحَملَ قَلبَهُ، وقَصدَ زاسْكا طالباً تَحديدَ مَوعِدِ الزّواجِ. وعَرَفَتْ زاسْكا مَعنى حُبِّ أَنطونَ لها. عَرَفَتِ الحُبَّ الحقيقيَّ الّذي كانَ يَحمِلُه لها حينَ كانَ يَعمَلُ على بِناءِ أَفضلِ مَنزِلٍ.

وفي يومِ الزَّواجِ اجتَمَعَ أهلُ القريةِ كما في العادةِ. وجاءَ الفنّانُ كاتْنا يَعزِفُ لِعروسَيْنِ السَّعيدَينِ أَجملَ ما عِندَهُ مِن أَلحانٍ. لَم يَكُنْ يَدفَعُه إلى هَذا غيرُ تقديرِهِ واحتِرامِهِ لِحُبِّ زاسْكا لِأَنطونَ، فإنَّ إخلاصَها وصَبرَها دَفَعاهُ إلى الإبداعِ إرضاءً لِلفنِّ ولِلحُبِّ. أمّا أَنطونُ وزاسْكا فكانَتْ سعادتُهُما مُزدَوِجةً: ثَباتٌ على حُبٍّ، وعُرسٌ جَمَعَ المَسكَنَ والفنَّ اللَّذَينِ بهِما تُوِّجَ الحُبُّ الرّاسِخُ.

اللُّقمةُ المُرَّةُ

أَحَسَّ رِياضٌ أَنَّهُ سَينفجِرُ باكياً وهُو يَجلِسُ في المكتبِ بانتظارِ قُدومِ غَسّانَ، شقيقِ زَوجتِهِ. كانَ يَستغلُّ فُرصةَ انتظارِهِ لِإراحةِ رِجْلِهِ المَجروحةِ، مُتوقِّعاً أَن يَقولَ له غَسّانُ حينَ يَلقاهُ:

ـ حَتماً يا رِياضُ. بوُسْعِكَ أَن تَبدأَ العملَ عندَما تَشاءُ.

لَقَدْ مَضى علَيهِ أُسبوعانِ وهُو يَجُرُّ نَفْسَهُ جَرّاً مِن مدينةٍ إلى مدينةٍ، ومِن مُقاطعةٍ إلى أُخرى، في النُّهُرِ المُحرِقةِ، أَوِ اللَّيالي المُمطِرةِ، لا يُصيبُ طعاماً جيِّداً ولا نَوماً هانئاً، وهُو يَنتظِرُ سَماعَ هَذهِ العِبارةِ الحُلْوةِ مِن غَسّانَ.

ثُمّ دَخلَ غَسّانُ، الرّئيسُ الفَرْعيُّ للمُؤسَّسةِ، إلى مَكتبِهِ، وفي يدِهِ رِزْمةٌ مِنَ الأَوراقِ، والتَفتَ إلى رِياضٍ التِفاتةً قصيرةً. لَم يَعرِفْهُ، فتحوَّلَ عَنهُ، معَ أَنَّ رِياضاً هَذا هو صِهرُه، زَوجُ شقيقتِهِ. أَهِيَ ثيابُه؟ كانَ رِياضٌ يَعلمُ قَذارةَ هيئتِهِ؛ لقَدْ حاولَ قَبلَ مَجيئِهِ أَن يُصلِحَ هِنْدامَهُ لَكنَّهُ عَجزَ، وَقَدْ جَرحَ خَدَّهُ وَهُو يَحلِقُ ذَقْنَهُ، ولَمْ يَستطِعْ أَن يُزيلَ الغُبارَ الأَحمرَ العالقَ بِثيابِهِ... هَل هَذا ما جَعلَ غَسّانَ لا يَعرفُه؟ أَم إِنَّهُ بالفعلِ قد تَغيَّرَ كثيراً؟!

والحقيقةُ أنَّ رِياضاً وغَسّانَ لَم يَلتَقِيا مُنذُ خَمسِ سَنواتٍ. لَقَدْ كَبِرَ غَسّانُ خَمْسَ سَنواتٍ، لَكنَّهُ لا يَزالُ كما كانَ. أمّا هو، رِياضٌ، فقَدْ كانَ تَغيُّرُه كبيراً، لأَنَّ هَذهِ السَّنواتِ كانَتْ حافلةً بِالمَتاعِبِ والهُمومِ.

وبعدَما أَنهى غَسّانُ مُحادثةً هاتفيّةً، استَلْقى على كُرْسِيِّهِ، ونَظرَ إلى رِياضٍ بعَينَينِ زَرْقاوَيْنِ صافيَتَينِ، صغيرتَينِ، حذِرتَينِ. كانَ غَسّانُ في الخامسةِ والأَربعينَ مِن عُمرِهِ، كبيرَ الجُثّةِ، أَشقَرَ الشَّعرِ، عريضَ الوَجهِ، بارزَ الأَعضاءِ قويَّها، ذا أَنْفٍ شديدِ الاحمرارِ مائلٍ

إلى الاِسْتدارةِ. لَكنَّهُ كانَ، كَكُلِّ رَجُلِ أعمالٍ، لطيفاً وحازماً.

كانَتْ نِظرةُ غَسّانَ هَذهِ قصيرةً، لا مُبالِيَةً، تَدُلُّ على أنَّهُ غيرُ مُستعِدٍّ لصَرْفِ وقتٍ طويلٍ معَ الزّائرِ؛ حتّى إنَّ رِياضاً أَحسَّ بسُلوكِ قَريبِهِ واشمأَزَّ مِنهُ. وفجأةً قالَ غَسّانُ:

ـ نَعمْ. ماذا تُريدُ؟

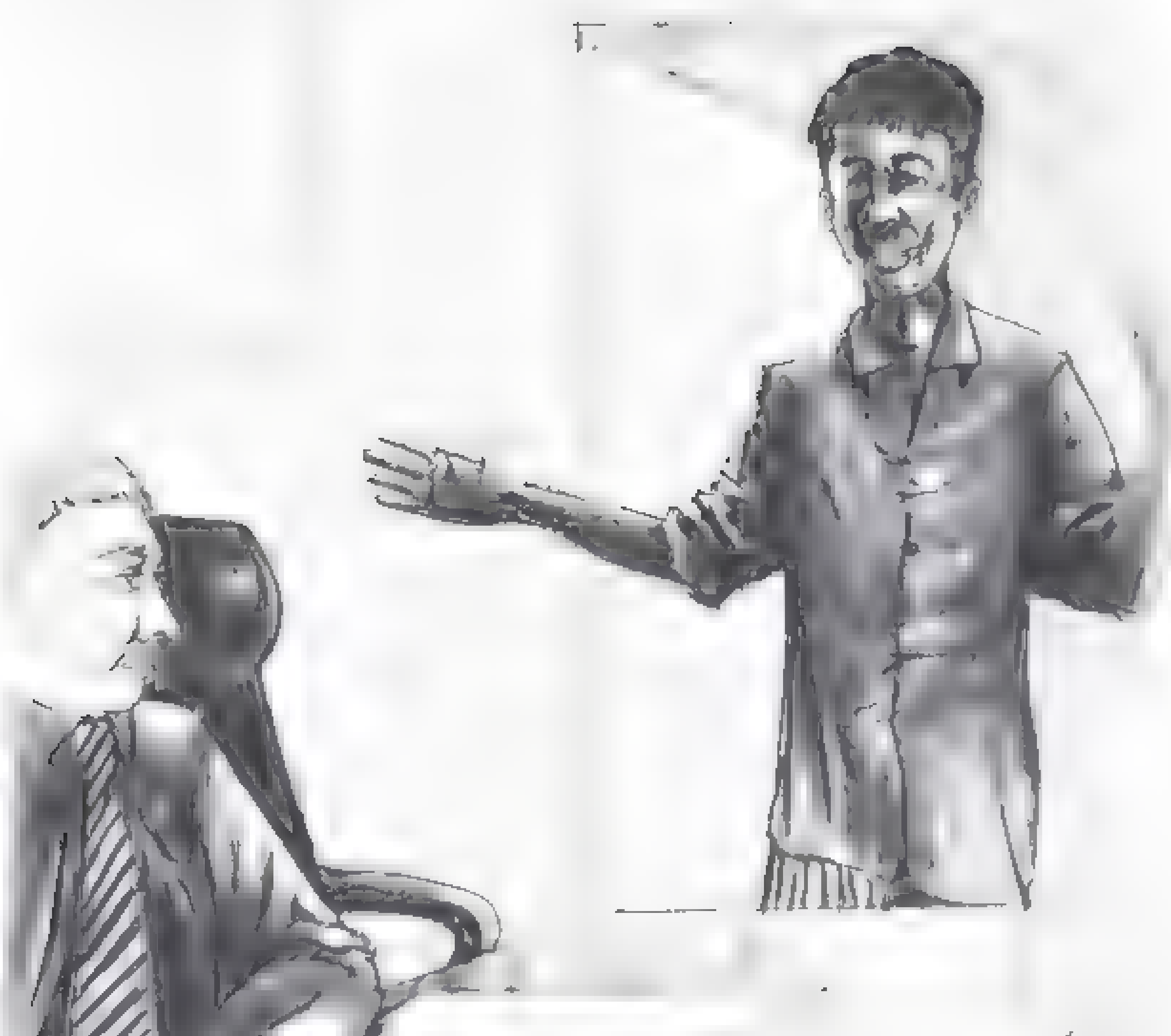
وشَعرَ رِياضٌ أنَّ صوتَ غَسّانَ كانَ لطيفاً. لقَدْ كانَ يَتوقَّعُ أن تَكونَ المُقابَلةُ أَسْوأَ مِمّا حَصلَ. فَنهضَ، واقتَربَ مِنَ الحاجزِ الخَشبيِّ الفاصلِ بينَهُما، ودفَعَ يدَهُ بعَصَبيّةٍ في شَعرِهِ المَنبوشِ، ثُمَّ قالَ مُتَلعْثِماً:

ـ أَظنُّكَ لَم تعرِفْني يا غَسّانُ. أنا رِياضٌ.

ـ هِه! وهَلْ هَذا كلُّ شيءٍ؟

ـ أَجَلْ. أنا رِياضٌ، صِهرُكَ رِياضٌ. شَقيقَتُكَ تَبعَثُ إلَيكَ بتَحيّاتِها.

هُنا نَهضَ غَسّانُ مِن كُرسيِّهِ، ومَشى إلى الحاجزِ حتّى أَصبَحا وَجهاً لوَجهٍ، ونَظرَ إلى رِياضٍ كأنَّهُ لا



يُصدِّقُ ما سَمِعَ. كانَ يُحاوِلُ أَن يَجِدَ الشَّبهَ بينَ الرَّجلِ الماثِلِ أَمامَهُ، وبينَ صِهرِهِ كما يَذكُرُه: أَلرَّجلُ الواقفُ أَمامَهُ مَديدُ القامةِ، في حُدودِ الأَربعينَ من عُمرِهِ. هَذا مُنطبِقٌ على ما يَذكُره عَن صِهرِهِ؛ وكانَ صِهرُه مُعتدِلَ المَلامحِ جيِّدَها، نحيفاً، مُستقيمَ الجسمِ. وهذا مُنطبِقٌ أَيضاً على الرَّجلِ الواقفِ أَمامَهُ. لَكنَّ هَذا الوجهَ الّذي يَراهُ الآنَ، شديدُ **الهُزالِ**، لِذا لَم يَستطِعْ أَن يَتعرَّفَهُ باديءَ الأَمرِ. وكانَ صِهرُه شابّاً صُلْبَ العودِ قويَّ العَضَلاتِ؛ أَمّا هَذا الماثِلُ أَمامَهُ الآنَ فهُو صورةٌ بائخةٌ، رديئةُ الصُّنْعِ، لجسمٍ رقيقٍ في ثيابٍ **فَضْفاضةٍ**. ثُمَّ واصلَ مُحاوَلَةَ تَعرُّفِ رِياضٍ، فَنظَرَ إلى عَينَيهِ، فَرأى فيهِما نِظرةً ناقمةً فُضوليَّةً، ولَكنَّها لطيفةٌ.

وَقفَ رِياضٌ هادئاً، غيرَ أَنَّ صَدرَهُ كانَ يَغلي. أَمّا غَسّانُ فكانَ كَمَنْ يَنظرُ إلى بَقيَّةِ حِصانٍ عجوزٍ مُحطَّمٍ، وفي عَينَيهِ شَفَقةٌ بريئةٌ، وهَذا ما جَعلَ رِياضاً يَتألَّمُ ويَثورُ

الهُزالُ: الضَّعفُ والنُّحولُ.

الفضفاضةُ: الواسعةُ.

في أعماقِهِ. هُنا قال غَسّانُ:

ـ أَحَلْ. أَظنُّكَ رِياضاً. ولكنَّكَ تَغيَّرْتَ كثيراً.

فرَدَّ رِياضٌ غاضباً:

ـ لقَدْ مَضَتْ خَمسةُ أَعوامٍ لَم تَرَني فيها. أَلَيسَ هَذا كافياً ليُغيِّرَني؟

ثُمَّ أَطبَقَ شَفَتيهِ بخَجَلٍ، وقالَ بحِدَّةٍ:

ـ وماذا لو تَغيَّرْتُ؟ أَلا يَتغيَّرُ كلُّ إنسانٍ؟ إنَّني لَم أَمُتْ بَعدُ!

ـ كُنتَ قَويَّ البِنْيةِ. وأَرى أنَّكَ قَد هُزِلْتَ.

ظَلَّ رِياضٌ صامتاً. إنَّهُ بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى غَسّانَ، فلَنْ يُخاصِمَهُ. وطالَ الصَّمْتُ بينَهُما إلى أَن أَصبحَ مؤلِماً. لكنَّ غَسّانَ ما لَبِثَ أَن رَفعَ الحاجزَ وقالَ:

ـ إعْذِرْني يا رِياضُ. أُدْخلْ واجلِسْ.

ثُمَّ قَبضَ على يَدِ رِياضٍ وهَزَّها بحرارةٍ، وتابعَ كلامَهُ:

ـ إنَّني مَسرورٌ جدّاً لرُؤيتِكَ. لا تَظُنَّ غيرَ هذا. ولَكنَّكَ شديدُ الهُزالِ، وهَذا ما غيَّرَكَ في نَظَري.

وتَمتمَ رِياضٌ:

- حَسَنٌ.

ثُمَّ جَسَ ودَسَّ يَدَهُ في شَعرِهِ المُجعَّدِ المنبوشِ. وفَجأةً سَألَهُ غَسّانُ:

- لماذا تَعرُجُ؟

وخبَّأَ رِياضٌ رِجْلَيهِ تَحتَ الكُرسيِّ. كانَ حجولاً بِحِذائِهِ. ثُمَّ قالَ:

- دُسْتُ حَجَراً فَثُقِبَ حِذائي. لقَدْ أَعْطَتْني هَذا الحِذاءَ إِحدى الجمعيّاتِ الخيريَّةِ. كادَ يَتْلَفُ بعدَ أُسبوعَينِ مِنَ السَّيرِ المُتَواصِلِ.

وأَبقى غَسّانُ عَينَيهِ مُحوَّلَتَينِ عَن حِذاءِ رِياضٍ، وقَدِ امتلأَ قَلبُه عَطْفاً. كانَتْ حالُ رِياضٍ مُفجِعَةً، وهُو لَمْ يَرَ مِنْ قَبلُ رَجلاً رَثَّ الهيئةِ مِثلَهُ. لقَدْ كانَتْ أُختُه تَكتُبُ إِلَيهِ كلَّ أُسبوعٍ، لَكنَّها لَم تَكُنْ تُخبِرُه أَنَّهُما في مِثلِ هَذهِ الحالةِ مِنَ البؤسِ. ثُمَّ قالَ:

- حَسَنٌ. والآنَ أخبِرْني عَن حالِكَ. كَيفَ حالُ أُختي سُعادَ؟

ـ هي في حالٍ جيِّدةٍ.

ـ والأطفالُ، كَيفَ حالُهم؟

ـ مُمتازةٌ. ألصَّغيرُ باتَ يَستطيعُ أن يَرسُمَ صُوراً لَكنّهُ بحاجةٍ إلى ما يُنَشِّطُه.

وعادَ الصَّمْتُ يُخيِّمُ بينَهُما بُرهةً، وراحَ رِياضٌ يَعبَثُ بِشَعرِهِ، وهُو مُرتَبكٌ لا يَدري كَيفَ يَذكرُ ما جاءَ مِن أَجْلِهِ. وانحَنى غَسّانُ إلى الأَمامِ، ووَضعَ يَدَهُ على رُكبةِ رياضٍ، ثُمَّ قالَ:

ـ لَم تُخبِرْني سُعادُ أنَّكُما على مِثلِ هَذهِ الحالةِ مِنَ الفَقرِ. ولَو أنَّها ذَكَرَتْ شَيئاً مِن هَذا لَكُنتُ استطعتُ مُساعدَتَكُما، أو لَكُنتُ حاوَلْتُ، على الأقلِّ.

فَردَّ رِياضٌ مُنذَهِلاً، خَجولاً، رقيقَ الصَّوتِ:

ـ حَسَنٌ. لقَدْ كانَتْ لكَ، أنتَ أيضاً، مَتاعِبُكَ الخاصَّةُ. ألَيس هَذا صحيحاً؟

ـ أَجَلْ!

قالَ غسّانُ هَذا وتَراجعَ إلى الوراءِ، وقَدِ اكتَأبَ وَجهُه وظَهرَتْ عليهِ المَرارةُ السَّوداءُ. ثُمَّ أضافَ:

ـ أنتَ تَعلَمُ أنَّني خسِرْتُ مَحلّي.

ـ بالتّأكيدِ! فقَدْ كَتبْتَ إِلَينا تُعْلِمُنا بما أَصابَكَ.

ـ وما أَزالُ أَستغرِبُ ما حلَّ بي. لقَدْ ظَلَّتِ الخسائرُ تَتوالى عليّ ثلاثَ سَنَواتٍ.

ثُمَّ ضَحِكَ ضِحكةً حاليةً مِنَ السُّرورِ، وأَضافَ:

ـ والآنَ حَدِّثْني عَنكَ. ماذا حَدثَ لكَ في عَملِكَ السّابقِ؟

وانفجَرَ رِياضٌ ثائراً، حاقداً، وهُوَ يَقولُ:

ـ دَعْ هذا الآنَ يا غسّانُ. إنّني أُفكِّرُ في شيءٍ آخَرَ.

ـ أَلَمْ تُخاصِمْ سُعادَ؟

ـ لا! ما الَّذي جَعلَكَ تُفكِّرُ في هَذا؟ لماذا نَتَخاصَمُ أنا وسُعادُ؟!

وتَوقَّفَ عَنِ الكلامِ لَحظةً، وضَحِكَ، ثُمَّ أَضافَ:

ـ لماذا يا غسّانُ؟ إنّني أُحبُّها حَتّى الجُنونِ. هي رائعةٌ! إنَّها كلُّ حَياتي!

ـ عُذراً يا رِياضُ. مرّةً أُخرى، اعذُرْني.

قالَ غسّانُ هَذا ضاحكاً. ثُمَّ أَدارَ وجهَهُ، وقَدْ أَثارَهُ

هَذا الحُبُّ القويُّ، وتَمنّى لَوِ استَطاعَ مُساعَدتَهُما، وكِلاهُما لا يَقوى على تَحمُّلِ المَشاقِّ والشَّقاءِ.

عِندَئِذٍ قالَ رِياضٌ:

ـ غَسّانُ! لقَدْ جئتُكَ لغايةٍ في نَفسي... وأنا أُريدُ مِنكَ المُساعَدةَ.

كانَ غَسّانُ يَتوقَّعُ هَذا. ولَكنَّهُ يَعْلمُ أنَّهُ لا يَستطيعُ أن يُساعِدَ صِهرَهُ مادِّيّاً، فقالَ والأَلَمُ بادٍ عليهِ:

ـ إنَّني أَتناوَلُ أَجْراً ضئيلاً جدّاً، وأنا مسرورٌ بحُصولي علَيهِ معَ أنَّهُ يَكادُ لا يَكفيني.

ـ أَعرِفُ هَذا.

قالَ رِياضٌ هَذا، وقَدْ عادَ إلَيهِ اضطِرابُه، لَكنَّهُ تمكَّنَ أن يَقولَ:

ـ أَعرِفُ أنّكَ لا تَستطيعُ مُساعَدتَنا بِالمالِ. لَكنَّني لَقيتُ في المدينةِ رَجلاً يَعملُ لحِسابِكَ، وقالَ لي إنّكَ تَستطيعُ أَن تَجِدَ لي عملاً.

ـ مَنْ قالَ هَذا؟

وانفجَرَ رِياضٌ مُعاتِباً:

ـ لماذا لَم تُخبِرْني مِن قبلُ بأنَّكَ تَستطيعُ أَن تُؤمِّنَ لي عَملاً؟ ما كِدتُ أَسمعُ بهَذا النَّبأ حتّى سَعَيتُ إِلَيكَ. وما زِلْتُ أَجُرُّ نَفسي جرّاً مُنذُ أُسبوعَينِ.

ـ هَل مَشَيتَ هَذهِ المسافةَ كلَّها طيلَةَ أُسبوعَينِ لِكَي تَجِدَ لكَ عملاً عِندي؟

ـ حتماً يا غَسّانُ، ماذا أَستطيعُ أَن أَفعلَ غيرَ هَذا؟

ـ أُؤكِّدُ لَكَ يا رِياضُ أَن لا مَحالَ لِعَمَلٍ الآنَ. ألحالةُ مُتأزِّمةٌ. أَلا تَعتقِدُ أَنَّ مِنَ الأَفضَلِ أَن أُرسِلَ في طَلبِكَ ساعةَ أَجِدُ لكَ عَملاً في المُستقبَلِ؟

وأَحسَّ رِياضٌ بخَيبةِ أملٍ. ألحُلُمُ الّذي راوَدَهُ طيلةَ أُسبوعَينِ تَحوَّلَ إِلى أَلَمٍ في صَدرِهِ. ثُمَّ ما لَبِثَ أَن صاحَ كالمَجنونِ:

ـ أَصْغِ إِليَّ! لقَدْ أَكَّدَ لي الرَّجُلُ هَذا. إِنَّهُ يَسوقُ السَّيّاراتِ في فَرْعِكَ. قالَ إِنَّكَ تَستأجِرُ العُمّالَ، وإِنَّكَ بحاجةٍ إِلى العُمّالِ بصورةٍ دائمةٍ.

فأَجابَ غَسّانُ بصَوتٍ مُنخَفِضٍ:

ـ تَعني في دائرَتي؟

ـ أَجَلْ يا غَسّانُ. هَذا ما أَعنيهِ.

قالَ غَسّانُ مُتضايِقاً:

ـ أَنتَ لا تَعْلَمُ ما هو هَذا العَملُ. إنَّهُ خَطِرٌ يا رِياضُ!

ـ بَلى. إنَّني أَعلَمُ. لَقَدْ أَخبرَني الرَّجلُ كلَّ شيءٍ عَنهُ. أَنتَ مُوزِّعٌ، أَلَيسَ هَكَذا؟ أَنتَ تُرسِلُ السَّيّاراتِ مَشحونةً بالمُتَفجِّراتِ...

ـ ومَن هو هَذا الرَّجلُ يا رِياضُ؟

ـ فَريدٌ، على ما أَعتقِدُ... أَجَلْ، فَريدٌ. رَجلٌ بجِسمي تَقريباً.

وانقَبضَ غَسّانُ، ولَكنَّهُ حاولَ أَن يَضحكَ. ولِلمرَّةِ الثّانيةِ كانَ ضَحِكُه قَلِقاً خالياً مِنَ السُّرورِ. ثمَّ قالَ، وقَدْ تَغيَّرَ صَوتُه:

ـ عَزيزي رياضاً، كانَ عليكَ أن تَسأَلَني قَبلَ أَن تَقطعَ هَذهِ المَسافةَ مَشياً على القَدَمينِ.

فأَجابَ رِياضٌ بسَذاجةٍ:

ـ لَمْ أَسأَلْكَ لأَنَّني كُنتُ أَعلمُ أَنَّكَ ستَقولُ لا. لقَدْ قالَ لي فريدٌ إنَّ العَملَ خَطِرٌ يا غَسّانُ. لَكنَّني لَستُ

أُبالي بالخَطرِ.

هُنا وَضَعَ غَسّانُ إحدى يَدَيهِ بالأُخرى، وَقَسَتْ مَلامحُ وَجهِهِ السَّمينِ، ثُمَّ قالَ:

ـ في أيِّ حالٍ سأَرفُضُ ما طَلَبْتَ.

فبَكى رياضٌ، إذْ لَم يَخطُرْ بِبالِهِ أَنَّ غَسّانَ لَن يُوافقَهُ عى استِخدامِهِ! لقَدْ كانَ يَظنُّ أَنّ العَقَبةَ الوحيدةَ في الحُصولِ عى العَملِ هي اجتيازُ المَسافةِ البعيدةِ إِلَيهِ. ثُمَّ قالَ مُتوسِّلاً:

ـ لا يا غَسّانُ. لا ترفُضْ. لا بُدَّ أَنَّهُ يوجَدُ لي عَملٌ ما.

ـ حَتماً يوجَدُ لكَ عَملٌ. تَستطيعُ أَن تَحُلَّ مَحلَّ فَريدٍ إذا شِئتَ.

ـ وهَل تَركَ العَملَ؟

ـ لقَدْ ماتَ!

ـ ماتَ؟! وكيفَ؟! ومتى؟!

ـ ماتَ اللّيلةَ الماضيةَ أثناءَ العَملِ يا رِياضُ. هَلِ اقتنَعْتَ الآنَ بأنَّ العَملَ خَطِرٌ ومُميتٌ؟!

ـ لا يَهمُّني الأمرُ. أُريدُ أَن أَعمَلَ!

ـ أَصْغِ إليَّ! سأُخبِرُكَ بِضعةَ أُمورٍ كانَ يَجبُ أن تَسألَ عَنها قَبلَ مَجيئِكَ. سيَكونُ عَملُكَ، هَذا إِذا وافَقْتُكَ على استِخدامِكَ، في نَقلِ مادَّةٍ سائلةٍ سريعةِ الِانفِجارِ تُستعمَلُ في التَّنقيبِ عَنِ البِترولِ. وهِيَ، على خلافِ الدّيناميتِ، غيرُ مأمونةٍ.

ـ أَعرِفُ هَذا. لا تَظُنَّ أَنَّني لا أَعلَمُ.

فغَضِبَ غَسّانُ وصاحَ به:

ـ أُسكُتْ قليلاً، واستَمِعْ إليَّ! إنَّ هَذا السّائلَ يَنفجِرُ مِن أَقلِّ حَرَكةٍ أو صوتٍ. يَنفجِرُ مِنَ السُّعالِ مَثلاً. ثُمَّ أَتعرِفُ كيفَ يُنقلُ؟ في خَزّانٍ كهَذا، كالمِرْوحةِ، لكَي تَكونَ بينَ أَقسامِهِ فُسُحاتٌ مَحشوَّةٌ بالمَطّاطِ.

ـ أَصْغِ إليَّ يا غَسّانُ...

ـ بَل أَنتَ أَصْغِ إليَّ يا رِياضُ! حاوِلْ أَنْ تُدرِكَ ما أَقولُ. أَعلمُ أَنَّكَ مُصرٌّ على الحُصولِ على عَملٍ، ولَكنْ يَجبُ أَن تَعيَ ما أَقولُه لكَ. هَذهِ المادَّةُ تُنقلُ ليلاً في سَيّاراتٍ خاصَّةٍ، تَسلُكُ طُرُقاً معيَّنةً، خارجَ المُدنِ.

ثُمَّ توضَعُ في **مَرائبَ** خاصَّةٍ. ألا تَعرِفُ مَعنى هَذا؟ ألا تقدِّرُ مَدى الخَطرِ؟

ـ سأَسوقُ بانتباهٍ. أعرِفُ كيفَ أَسوقُ الشّاحنةَ. سأَسوقُ على مَهلٍ.

ـ أَتظُنُّ أَنَّ فَريداً لَم يَكُنْ يَسوقُ بانتباهٍ؟ أَم تَظُنُّ أَنَّهُ كانَ يَجهلُ كيفَ يَسوقُ الشّاحنةَ؟

ـ لَن تَستطيعَ أَن تُخيفَني يا غَسّانُ! لَقَدْ **وَطَّنْتُ نَفْسي على** شيءٍ واحدٍ هو أَن أَعملَ. وكلُّ ما يُهمُّني هو أَن أَتقاضى الأَجْرَ الّذي كانَ فَريدٌ يَتقاضاهُ. هَل هَذا مُمكِنٌ؟

ـ حَتماً. أَنتَ تَظنُّ أَنَّ هَذا العَملَ سَهلٌ، لَكنَّهُ ليسَ سَهلاً على الإطلاقِ. لِذا تَدفعُ الشّركةُ مِثلَ هَذا الرّاتِبِ الكبيرِ!

وأَطلقَ غَسّانُ تَنهُّدةً عميقةً، وهُو غاضبٌ. ثُمَّ أَضافَ قائلاً:

المرائبُ مفردُها المرآبُ وهُو «الكاراجُ».

وطَّنَ نفسَهُ على الأمرِ أو للأمرِ هيَّأَ نَفْسَهُ لِلقيامِ بهِ، وعزَمَ عليهِ.

ـ قَد تَصدِمُ الشّاحنةُ حَجرًا، أَو قَد تهتزُّ، فيَنفجِرُ السّائلُ. لا نَستطيعُ أَن نَسأَلَ فَريداً عمّا حدثَ! لا نَعرِفُ شيئاً عَنِ السّائقِ أَوِ السّيّارةِ. نَعلمُ أَنّ السّائقَ لَم يَصلْ في الوقتِ المُعيّنِ. إنَّ الجسرَ الّذي كانَ يَمرُّ عَليهِ لا أَثرَ له أيضاً. لا جسرَ، ولا فَريدَ، ولا سيّارةَ. هَل فَهمْتَ الآنَ؟

وسادَ الصّمتُ بُرهةً. وأَخذَ رِياضُ يَفرُكُ يَدَيهِ الطّويلتَينِ الرّقيقتَينِ مَشدوقَ الفَمِ كأَنَّهُ في حالةِ نَزْعٍ: فهُو يُقابلُ ضَرورةَ تأمينِ المالِ اللّازمِ لعائلتِهِ، لأطفالِهِ وزَوجتِهِ، بالصّورةِ البَشعةِ الّتي رَسمَها له غَسّانُ عَنِ العَملِ. ثُمَّ أَطبقَ عَينَيهِ، وقالَ بصَوتٍ ناعمٍ:

ـ لا أُبالي بِهذا يا غَسّانُ. لَقَدْ حذّرْتَني وأَرَحْتَ ضميرَكَ. أَمّا الآنَ فعَلَيكَ أَن تُحسِنَ إليَّ وتُعطيَني عَملاً.

ورنَّ جرسُ الهاتفِ، بينَما كانَ غسّانُ يَخبِطُ المكتبَ بكَفِّهِ ويَقولُ:

النّزعُ: حالةُ المريضِ المشرِفِ على الموتِ.

ـ لا!

لَكِنَّ رِياضاً عادَ إلى مُتابَعَةِ الكلامِ بصَوتِهِ الرَّقيقِ:

ـ أَصغِ إليَّ يا غَسّانُ. أَلا تَفهَمُ حاجَتي إلى العَملِ؟

وفَتحَ عَينَيهِ، وكانَتا مليئتَينِ بالدُّموعِ، **فأَشاحَ غَسّانُ عَنهُ بنَظرِهِ**، ثُمَّ عادَ فقالَ بإصرارٍ:

ـ أنتَ مجنونٌ يا رِياضُ. هَل تَعلَمُ ماذا تَبلَّغتُ الآنَ بالمُحادَثةِ الهاتفيَّةِ؟ سائقٌ واحدٌ مِن كلِّ خمسةٍ يَموتُ. هَذا هو المُعدَّلُ.

وكادَتْ مَلامحُ وَجهِ رِياضٍ تَنِمُّ عَن حَيرةٍ: هَل يَعودُ عَن إصرارِهِ؟ لَكنَّ **أَساريرَ** وجهِهِ قَسَتْ، واتَّضحَتِ النِّقمةُ الحادَّةُ على وَجهِهِ، وقالَ:

ـ وما نَفعُ حياتي؟ نحنُ في البيتِ جِياعٌ. لا نَستطيعُ أَن نَحيا بعدَ الآنَ. أُريدُ أَن أَسيرَ في الشّارعِ مرفوعَ الرَّأسِ.

ـ عُدْ إلى البيتِ. سأَستَدينُ لكَ بعضَ المالِ تَسدُّ به

أَشاحَ بنَظرِهِ: حَوّلَهُ متكرِّهاً.

الأَساريرُ: مَلامحُ الوَجهِ ومَحاسنُه.

حاجتَكَ إلى حينٍ.

ـ وماذا بعدَئذٍ؟

ـ إنتظِرْ. لا يَحِقُّ لكَ أن تَقتُلَ نفسَكَ. ستَجدُ عَملاً آخَرَ.

ـ لَمْ أَجِدْ عَملاً خِلالَ سِتِّ سنواتٍ. قَبِلْتُ مرّةً أن أَعملَ بنَكشِ الأرضِ، لكنَّ هَذا العَملَ يَستوجبُ صِحّةً جيِّدةً وقوّةً. وصحّتي كما تَرى. لِذا توَقَّفْتُ عَنهُ.

ـ كُن شجاعاً! كُن كبيرَ الرَّجاءِ!

ـ أنتَ أَمَلي الوحيدُ الآنَ.

ـ فكِّرْ في سُعادَ دقيقةً واحدةً. فكِّرْ في أطفالِكَ.

ـ أَتَظنُّ أنّني لا أُفكِّرُ في زَوجتي وأَولادي؟

أَلَيسَ هَذا ما يَدفعُني إلى البحثِ عَن عَملٍ؟... إلى القَبولِ بِهَذا العَملِ الخَطِرِ؟ أُريدُ أن أُقدِّمَ لهُم شيئاً غيرَ الفَشَلِ والإخفاقِ.

ـ هُراءٌ! أنتَ لَم تَفشَلْ. أنتَ تُصرُّ على هَذا العملِ

الإخفاقُ: عدمُ إدراكِ الحاجةِ المطلوبةِ، الخَيبةُ.

الهُراءُ: الكلامُ الكثيرُ الفاسِدُ وغيرُ المَنطقيّ.

الخَطِرِ مِن أجلِ عائلتِكَ، ولَكنْ كيفَ تَكونُ حالُها عندَما تُقتَلُ؟

ـ لَعلَّني لَن أفشلَ في هَذا العملِ! قَد لا أُقتَلُ!

ـ هَكذا يَعتقدُ الجميعُ عندَما يَتسلَّمونَ هَذا العَملَ.

وسادَ الصّمتُ بينَهُما لَحظاتٍ. غسّانُ يتألَّمُ خِشيةَ عَجزِهِ عَن إقناعِهِ بالعُدولِ عَن هَذا العَملِ الخَطِرِ، ورِياضٌ يَمسحُ الدُّموعَ مِن عَينَيهِ؛ غَسّانُ مُصرٌّ على الرَّفضِ، ورِياضٌ مُصرٌّ على الحُصولِ على عملٍ يكونُ به خلاصُ عائلتِهِ.

مرَّةً أُخرى رنَّ جرسُ الهاتفِ. وَأمسكَ غَسّانُ بالسَّمّاعةِ، وأَصغى، ولَمْ يَتكلَّمْ. عَرَفَ صاحبةَ الصَّوتِ، لَكنّهُ لَم يَستطِعْ أَن يَقولَ شيئاً. ثُمَّ قدَّمَ السَّمّاعةَ إلى رِياضٍ. أَخذَها رِياضٌ بشيءٍ مِنَ العَصبيّةِ، وقَدْ بدأَ يَستسلِمُ. وسَمعَ صوتَ سُعادَ تَقولُ لأَخيها:

ـ قُلْ لرِياضٍ أَن يَعودَ إلَينا. أنا والأطفالُ في انتظارِهِ.

وَوَضعَ رِياضٌ السَّمّاعةَ في مَكانِها. لَم يَستطِعْ أَن

يَقولَ شيئاً. لِلمرَّةِ الأولى كانَ غَسّانُ ورِياضٌ متَّفقَينِ في حِوارٍ جديدٍ صامتٍ. ثُمَّ نَهَضَ رِياضٌ وقَدْ أَشرقَ وَجهُه بعضَ الإشراقِ، لكنَّ الدُّموعَ بَقيَتْ تَترقرَقُ في عَينَيهِ، وخَرجَ. وظَلَّ غَسّانُ يُراقبُه وهُو يَبتعدُ، حَتّى اختفى وراءَ مُنعطَفٍ في الطَّريقِ. ثُمَّ اتَّكأَ إلى الأمامِ بهُدوءٍ، ووَضعَ رأسَهُ بينَ يدَيهِ يُصغي إلى خَفَقانِ قَلبِهِ، بينَما كانَ رِياضٌ يُواصِلُ سَيرَهُ، وهُو يَعرُجُ قليلاً، ويَذكُرُ ما قالَهُ له غَسّانُ:

ـ أنتَ لَمْ تُخفِقْ. كُن كبيرَ الرَّجاءِ! كُن شُجاعاً!

مُضيفاً مِن عِندِهِ:

ـ يجبُ أَن أَبقى حيّاً لتأمينِ حياةِ عائلتي.

قصة

جَـزاءُ الفَـنِّ

ـ هَل تَسمحُ لي بِأَن أَتناولَ قليلاً مِنَ الشّايِ معَكَ يا بولُ؟ إنَّ إنائي الّذي أَغلي فيه الشّايَ مثقوبٌ...

فوَضعَ بولُ فِرنْشامُ لَوحَ الرَّسمِ جانباً ووَقفَ:

ـ حَتماً يا عَزيزتي سْتيلّا! سأُعِدُّ شاياً يَكفينا معاً، بينَما تَتأمَّلينَ أنتِ رسماً هو أَروَعُ ما أَنتجتُ. الواقعُ أَنّي قَد أَنهَيتُه.

جَسَتِ الفتاةُ على جانبٍ مِنَ المائدةِ، وتأمَّلَتِ اللَّوحةَ الّتي رَسمَها فيها، وقالَتْ:

ـ إنَّهُ لَرَسْمٌ رائعٌ، جَعلَني أَظهرُ فيه وكأنَّني **لُغزٌ**!

اللُّغزُ: المُبهَمُ والمتبِسُ والمعقّدُ من الأمورِ.

ـ وإنَّكِ لَهَكذا! أنتِ لُغزٌ عظيمٌ! هُوَذا الشّايُ.

أَخَذَتِ الفتاةُ القَدَحَ، ثُمّ انتقَلَتْ عَيناها إلى رسمٍ فنّيٍّ آخَرَ مُعلّقٍ فوقَ بضعِ لوحاتٍ قديمةٍ. وبعدَما نَظَرَتْ إلى هَذا الرّسْمِ مَليّاً قالَتْ:

ـ عزيزي بولَ! مَن هو هَذا الرّجلُ الكريهُ البادي في هَذا الرّسْمِ؟

وتَجعَّدَ جبينُ سْتيلّا الأبيضُ، واضطربَ فمُها كأنَّها تُحاوِلُ أَن تُخفيَ ابتسامةً.

ـ هو السَّيِّدُ جاكْسونُ بْليكُ، رجُلُ الأعمالِ، يا صَغيرتي. رسَمْتُه مِن ذاكرتي كما أَرسمُ غيرَهُ مِنَ الشَّخصيّاتِ. ولِمَ هَذا الاِهتمامُ به؟

ظَلّتِ سْتيلّا صامتةً، وهِي تُحدِّقُ إلى الرَّسمِ كئيبةً، وعَيناها زائغتانِ.

وفجأةً لَحَظَ بولُ صَمتَها:

ـ ما بِكِ يا سْتيلّا؟ مُستحيلٌ أَن تَكوني تَعرِفينَ هَذا

مليّاً: زمناً طويلاً.
زاغَتِ العَينُ: كَلَّتْ.

الرَّجلَ! لِمَ هَذا الانفعالُ؟

- أنا لَستُ مُنفعِلةً!

وأَدارَتْ وَجْهَها عَنِ الرَّسمِ وَبقِيَتْ جالسةً على جانبِ المائدةِ. ثُمَّ قالَتْ بصَوتٍ مُنخفِضٍ ذَليلٍ:

- بولُ! أنا أعرِفُ هَذا الرَّجلَ، وما قَصدْتُ هَذهِ المدينةَ لِبضعةِ أَسابيعَ خَلَتْ إلّا لأنّي كُنتُ أَعتقِدُ أنَّهُ قد غادرَها. سيَكونُ لِقائي إيّاهُ مُفجِعاً.

- ولَكِنْ لماذا؟ لماذا يَكونُ لِقاؤُكِ إيّاهُ مُفجِعاً؟

جَرَعتْ قليلاً مِنَ الشّايِ وأَجابَتْ بصَوتٍ يُشبِهُ الهَمْسَ:

- بولُ، إنّي كُنتُ زَوجةً لهَذا الرَّجلِ!

إنقضَتْ فَترةٌ مِن صَمتٍ ودَهشةٍ. ثُمَّ قالَ بولُ:

- سْتيلّا! كُنتِ زَوجةً للسَّيِّدِ جاكْسونَ بْنيكَ؟ كيفَ ذَلكَ؟ إنَّ للرَّجلِ زَوجةً! أنتِ واهِمةٌ!

ورأى دمعةً تَسقُطُ مِن هُدْبَيها الطَّويلَينِ الأَسوَدَينِ

الهُدبُ: شَعَرُ أَشفارِ العينَين.

وتَستقرُّ كلؤلؤةٍ فوقَ خدَّيها:

ـ هَذهِ هي الحقيقةُ المُؤلمةُ. لقَدْ كانَ جاكْسونُ يُبيكُ في «لَنْدَنَ» حَيثُ كُنّا نحنُ أيضاً، وكانَ ذلكَ مُنذُ خَمسِ سنَواتٍ، وأنا في الثّامنَةَ عَشْرَةَ مِن عُمري، وهُو رَجلٌ مِن كِبارِ رجالِ الأعمالِ. ولَمّا أرادَ أَن يَقترِنَ بي خِفْتُ وفَرِحْتُ في آنٍ معاً. ثُمَّ تَزوَّجْنا. وحينَ هَجرَني بَلغَ مِن غَضبِ أَهلي أَن أَغلقوا أَبوابَهُم دوني. ولهَذا كانَ عليَّ أَن أَعملَ في مَعملِ أزياءٍ، أَو أيِّ عملٍ آخَرَ. ثُمَّ ها أنا الآنَ أَجِدُه هُنا!

فنظَر إليها نولُ نظرةً فارغةً، واصفرَّ وَجهُه شَفقةً علَيها، وقالَ:

ـ شْتيلّا، يا صَغيرتي المِسكينةَ! إنَّ المالَ لَينهمِرُ مِن أَصابعِ هَذا الرَّجُلِ انهِماراً! يا له مِن إنسانٍ خَسيسٍ! إنَّهُ يستحقُّ الاحتقارَ والتَّشويهَ.

قالَتِ شْتيلّا:

ـ ليتَ لنا ذلكَ. ولَكنْ مَن يَجرؤُ على التَّشهيرِ به أمامَ العالَمِ؟

إحمرَّ وجهُ بولَ:

ـ أَلَيسَ في النّاسِ مَنْ يَجرؤُ؟ أنا أَجرؤُ! إِنّي أُريدُ أَن أَفضَحَهُ، ولَكنْ كيفَ؟ سْتيلّا، كيفَ يُمكِنُني أَن أُساعِدَكِ؟

فَمَعَتْ عَينا سْتيلّا السّوداوانِ، ونَظرَتْ إلى الرَّسمِ المُلْقى على الأَلواحِ، وقَبضَتْ يَدُها البيضاءُ الصَّغيرةُ على يَدِ الفنّانِ. قالَتْ له:

ـ بولُ، أنا أَعرفُ كيفَ نَقْتَصُّ مِنهُ، ورُبَّما أَفَدْتَني مِنَ النّاحيةِ المادِّيَّةِ أيضاً. إنّي بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى النُّقودِ! أَتُحِبُّ أَن تَفعلَ هَذا مِن أَجلي؟

ـ قولي ما تَشائينَ.

واختَلى الرّأسانِ الأَشقرانِ الكَسْتَنائيّانِ بُرهةً، يَتسارّانِ ويُدبِّرانِ الخِطَّةَ.

كانَ السَّيِّدُ جاكْسونُ بْنيكُ يَتجوَّلُ في شارعِ المدينةِ الكبيرِ، لامعَ الحذاءِ، وعلى صَدرِهِ زَهرةٌ جميلةٌ. كانَ

يتسارّان: يتناجَيانِ ويُطلِعُ أحدُهُما الآخرَ على سِرٍّ ما.

يَشعُرُ بالغِنى والسُّرورِ، وبأنَّهُ رَجلٌ محبوبٌ. وكانَ النَّهارُ جميلاً، فأحسَّ السَّيِّدُ بْليكُ رَغبةً في عَملِ الإحسانِ. وكانَ في مُنتصَفِ الشّارعِ مَخْزَنُ آثارٍ فنِّيَّةٍ يَقصِدُه السَّيِّدُ بْليكُ دائماً للتَّفرُّجِ، وهُو مولَعٌ جدّاً بالرُّسومِ والنُّقوشِ والمَطبوعاتِ القديمةِ، فيُريهِ صاحبُ المَخزنِ شيئاً جديداً كلَّ مرَّةٍ. وصادَفَ مرَّةً أَن كانَ على النّافذةِ إعلانٌ، فوَقفَ السَّيِّدُ بْليكُ ليَقرأَهُ: «مَعرِضُ إنتاجِ الفنّانينَ المَحلِّيّينَ».

وما لَبِثَ التّاجرُ أَن أَطلَّ، فحَيّا السَّيِّدَ بْليكَ الّذي أَجابَهُ:

ـ أُحبُّ أَن أُشاهِدَ مَعْرِضَكَ الصَّغيرَ هَذا.

ـ في المَعرِضِ لَوحاتٌ فنِّيَّةٌ بديعةٌ يا سيِّدُ بْليكُ، بديعةٌ لِلغايةِ.

كانَ المَعرِضُ في داخلِ المَخزَنِ، يَحجُبُه حاجزٌ مِنَ القُماشِ المُخْمَلِيِّ، وكانَ يَحوي نحواً مِن عشرينَ رسماً. وإذا بالسَّيِّدِ بْليكَ يَقِفُ في المَعرِضِ مُسمَّراً، فاغِرَ الفَمِ! إنفرَجَتْ ساقاهُ الصَّغيرتانِ الضَّخمتانِ وهُو

يَنظُرُ إلى رسم يُمثِّلُ شخصَينِ، أَحدُهُما رَجلٌ ضَخمٌ ذو عُنقٍ غَليظٍ، أحمرُ الوَجهِ، مُتوسِّطُ السِّنِّ، جالسٌ عى مَقعدٍ، يَضُمُّ بإحدى يَدَيهِ القصيرتَينِ شخصاً آخَرَ: فتاةً جميلةَ المَنظرِ تَتطَّعُ إلى وَجهِهِ بثِقةٍ وأَملٍ. كانَ شعرُها كَسْتنائيَّ اللَّونِ ناعماً، ولها عَينانِ سَوداوانِ، وهُدبانِ **فاحمانِ**، وعُنقٌ أبيضُ كاللُّؤلؤِ، وأنفٌ صغيرٌ قليلُ الِالتواءِ.

فشَعرَ بْليكُ بالعَرَقِ يَتصبَّبُ مِن جَبينِهِ، وأحسَّ بغُصَّةٍ خانقةٍ في حَلقِهِ، لَكنَّهُ، على رُغمِ أنفاسِهِ المُزدَحِمةِ، استطاعَ أَنْ يَسأَلَ التّاجرَ:

ـ مَنْ صَنعَ هَذا الرَّسمَ؟ أينَ يَسكُنُ هَذا الفنّانُ؟ أَودُّ أَن أَراهُ، والحقيقةُ أنَّني قَد أَشتري مِنهُ الرَّسمَ! أَتَستطيعُ أَن تَحجُزَ لي هَذهِ اللَّوحةَ؟

أَصغى إلَيهِ التّاجرُ بانتباهٍ، ثُمَّ انحَنى قائلاً:

ـ حَتماً يا سيِّدي. سأَحتفِظُ بالرَّسمِ حتّى يأتيَني حوائكَ. إسمُ الفنّانِ بولُ فِرِنْشامُ، وهُو يَسكُنُ في

فاحمان: أسْودان



البيتِ ذي الرَّقم 560.

فما أَسرعَ ما خَرجَ بْليكُ مِنَ المَعرِضِ، واستَوقفَ سيّارةً صَعِدَ إِلَيها وهُو يَلهَثُ. كانَ مُتعَباً يَشعرُ بصُداعٍ في رأسِهِ. يا لها مِن صَدمةٍ! كيفَ لا وقَدْ رأى سْتيلّا تَنظُرُ إِلَيهِ في رسمٍ يَبدو هو فيه بوَجهٍ مُضحِكٍ مُشوَّهٍ؟ إنَّ صاحبَ المَعرِضِ أَعمى كالوَطواطِ لا يَرى شيئاً. ولَكنَّ الآخرينَ سيَفهمونَ كلَّ شيءٍ، فيَنتشرُ الخبرُ مِلءَ المدينةِ في مثلِ لمْحِ البَصرِ. ألنُّكتةُ **فظيعةٌ** و**سفيهةٌ**! وهُو لا يَستطيعُ شيئاً سِوى أَن يَشتريَ الرَّسمَ الّذي شَوَّهَ صورتَهُ!

ها هو الشّارعُ بظُلمتِهِ وقَذَرِهِ. وصَعِدَ بْليكُ أَرْبَعَ طَبَقاتٍ ووَصَلَ إِلى بيتِ بولَ، فقَرَعَهُ بيَدٍ مُرتعِشةٍ. وفَتحَ الفنّانُ البابَ...

ـ أنتَ هو السَّيِّدُ بولُ فِرِنْشامُ؟

ـ نَعمْ!

فَظيعةٌ: شَنيعةٌ وفيها مجاوزَةٌ للحَدِّ.

سفيهةٌ: رديئةُ الأخلاقِ.

وجَمعَ بولُ أشياءَ كانَتْ مُبعثَرةً فوقَ الكُرسيِّ، وقالَ للزّائرِ:

ـ إجْلِسْ، أَعتقِدُ أنَّكَ جِئتَ مِن أجلِ ذَلِكَ الرّسمِ.

إحمرَّ وَجهُ جاكْسونَ بْليكَ وجَرَضَ بِرِيقِهِ وبلَعَهُ. لَكنّهُ مَلَكَ غضبَهُ الثّائرَ:

ـ نَعمْ... أتعلَمُ أنَّكَ ارتَكبْتَ ذَنْباً كبيراً سافلاً، وأنّني أَستطيعُ أن أُقاضِيَكَ إلى المَحكمةِ؟

أجابَهُ بولُ مُبتهِجاً:

ـ لا تَستطيعُ هَذا لأنَّكَ تَخافُ مِن عرضِ الرّسمِ على القاضي!

فضَربَ بْليكُ بِيَدِهِ على المائدةِ:

ـ ولَكنَّكَ تُثيرُ فضيحةً لا تُحتَملُ! لماذا فَعلْتَ هَذا؟

رَمى بولُ لِفافةَ التّبغِ، وغارَتِ البَهجةُ مِن وَجهِهِ فأصبحَ قاسياً عَبوساً. قالَ:

ـ فَعلْتُ هَذا لأنَّ أمثالَكَ يَجبُ أن يَدفعوا ثمنَ قلبٍ

جرض بريقه: إبتلعهُ بجُهدٍ على همٍّ وحُزنٍ.

ملكَ الشّيْءَ: احتواهُ قادراً على التّصرُّفِ والتّحكُّمِ به.

كَسيرٍ وحياةٍ محطَّمةٍ! وإنَّكَ ستَدفعُ!

فصاحَ بْليكُ:

ـ لَكنَّ هَذا قَصٌ وابتزازٌ.

فقالَ بولُ بهدوءٍ:

ـ حَتماً إنَّهُ ابتزازٌ، ولَكنَّهُ ابتزازٌ شريفٌ. ولَن تَكتفيَ سْتيلا إلّا بمِئَتَي جُنَيهٍ لقاءَ ما جَنَيْتَهُ علَيها.

وقبلَ أَن يُغادِرَ بْليكُ مُحْتَرَفَ الفَنّانِ، وَقَّعَ بيَدِهِ المُرتجِفَةِ «شيكاً» بالقيمةِ المطلوبةِ. فنَظَرَ بولُ إلى «الشّيكِ» كأنَّ فيه سُمّاً، ثُمَّ طَواهُ وقالَ:

ـ حَسَنٌ. تَستطيعُ الآنَ أَن تأخُذَ ذَلكَ الرَّسمَ الجميلَ وتُعلِّقَهُ في غُرفةِ نَومِكَ!

ولَكنْ بعدَ ساعةٍ، كانَ بْليكُ يُمزِّقُ ذَلكَ الرَّسمَ بغَيظٍ في غُرفةِ نَومِهِ المُقفَلةِ!

بعدَ عَشَرَةِ أيّامٍ مِن هَذا اللِّقاءِ كانَ بولُ يَتنزَّهُ حزيناً في الحديقةِ العامّةِ، ويَتفرّجُ بالنَّظرِ إلى البَطِّ يَقوقُ ويَسبحُ في جوانبِ البِرَكِ. كانَ الجوُّ مُكْفَهِرّاً، وكانَ

الابتزازُ: أَخذُ الشّيءِ قَهراً وَغَصباً.

بولُ في ذلكَ الصَّباحِ تَعِساً وكَئيباً لأنَّهُ لم يتسلَّمْ رسالةً مِن سْتيلا، إلّا تلكَ الكَلمةَ المُستعجَلةَ الّتي أخبرَتْهُ بها أنَّها تَسلَّمَتِ «الشّيكَ».

هو يَعلمُ أنَّها مُنهمِكةٌ في العَملِ في مَصنعِ أزياءٍ كبيرٍ، لَكنَّهُ واثقٌ بأنَّها تَستطيعُ أن تُوفِّرَ قليلاً مِن وقتٍ لتَكتُبَ له وتَشكُرَهُ على صَنيعِهِ، وتُنبئَهُ مَتى ستزورُه. حقّاً إنَّ النِّساءَ لمَخلوقاتٌ غريبةٌ عجيبةٌ!

ـ أوه! أستَميحُكَ عُذراً.

وتَراجعَ بولُ أمامَ جسمٍ ضَخمٍ صَدَمَهُ، وعَرفَ مِن فورِهِ أنَّهُ جاكسونُ بْليكُ. وفجأةً تجهَّمَ وَجهُه، ودارَ ليَمشيَ، لكنَّ يداً استَوقَفَتْهُ.

ـ عُذراً. أُريدُ أَن أسألَكَ شيئاً. أتعلَمُ هَل ما تَزالُ تلكَ الفتاةُ في المدينةِ؟

أجابَ بولُ غاضباً:

ـ لا، لَم تَكُنْ تُريدُ أَنْ تَلْقاكَ. ولقَدِ انتقلَتْ إلى عَملٍ آخرَ. وستَظلُّ مُضطرّةً إلى العَملِ على رُغمِ ذَلكَ «الشّيكِ».

ـ وهَل تَعرفُ عُنوانَها؟

إحمرَّ وَجْهُ نْبيك حينَ حَدَّقَ إِلَيهِ بولُ وأجابَهُ هازئاً:

ـ أَتُرِيدُ أَنْ تُراسِلَ زَوجتَكَ؟

ـ زَوجتي! فَهِمْتُ إذاً! لقَدْ خَدَعَتْكَ أيُّها الفَتى كما خَدَعَتْني. لَم تَكُنِ سْتيلّا زوجةً لي، أَو زوجةً لأَحدٍ. إنَّها أَمْهَرُ مِن ذَلكَ.

ـ أَلَمْ تَكُنْ زَوجتَكَ؟! لَكنَّها كانَتْ زَوجتَكَ على حَدِّ قَولِها.

ـ لِبضعِ سَنواتٍ خَلَتْ كُنتُ في «لُنْدُنَ» أَقضي عَملاً، وكانَتْ هي تَعمَلُ على المَسرحِ. جُنِنْتُ بِها لمّا رأيتُها، وأَردتُ أَن أَتزوَّجَها، فرُحْتُ أُرسلُ إِلَيها بطاقاتٍ عاطفيَّةً أُعرِبُ لها فيها عَن إِعجابي بها. ثُمَّ تَرامَتْ إلى أُذُنيَّ إشاعاتٌ متنوِّعةٌ تحقَّقْتُها، وتَحقَّقْتُ أَنَّ الفتاةَ لا تَصلُحُ لي زَوجةً، فتَركْتُها. فادَّعَتْ عليَّ بأنّني وَعَدْتُها بالزَّواجِ ثُمَّ لَم أَفِ بوَعدي. لَكنَّ الدَّعْوى سَقَطَتْ. ومُنذُ ذَلكَ الوقتِ لَم أَسمعْ أَو أَعرِفْ عَنها شيئاً حتّى

الآنَ. ثُمَّ عَلِمْتُ فيما بعدُ أنَّ رَجلاً **مُثْرِياً** مِن «أميرِكا» الجَنوبيّةِ خَطَبَها.

ـ أوه! إنَّها ذكيَّةٌ، ذكيَّةٌ!

وسادَ صمتٌ رهيبٌ. ألبَطُّ يَقوقُ. أمّا بولُ فقَدْ جَمَدَ كالتِّمثالِ. إصفرَّ وَجهُه أوّلاً، ثُمَّ أصبحَ **قِرْمِزِيَّ** اللّونِ. وأوشكَتِ الكَلماتُ تَخنُقُه وهُو يَقولُ:

ـ تأمَّلْ أنّي قُمْتُ بابتزازِ المالِ مِن أَجلِها. لقَدْ صدَّقْتُها حَتّى كِدْتُ أَخنُقُكَ!

وتَنَهَّدَ جاكسونُ بْليكُ، ولوَّحَ بعَصاهُ نَحوَ حمامةٍ سمينةٍ، وابتسمَ قائلاً:

ـ خَدَعَتْنا كِلَيْنا بِبَراعةٍ. والآنَ أَتَساءلُ: تُرى، مَن يَكونُ فَريستَها التّاليَةَ؟

فنظَرَ إلَيهِ بولُ وقَدْ صَعِدَ الدَّمُ إلى وَجهِهِ، ومَدَّ نَحوَهُ يداً خجِلةً وهُو يَقولُ:

ـ ماذا حلَّ «بالشّيكِ»؟

مُثْرِياً: غنيّاً، ذا ثَروةٍ.
القِرمزيُّ: ما كانَ بلونِ القِرمزِ وهُو صَبغٌ أحمرُ.

أجابَهُ جاكْسونُ بْليكُ:

ـ كلُّ شيْءٍ على ما يُرامُ، أيُّها الفتى. ولمّا كُنتُ رَجلَ أعمالٍ فقَدِ اتَّصلْتُ بِالمَصْرِفِ وَأَبْطَلتُ مَفعولَ «الشّيكِ». ولَستُ أَعتقدُ أنَّنا سنَسمَعُ شيئاً مِن سْتيلّا. قُمْ بِنا الآنَ نتناولِ الغَداءَ معاً، وكلِّمْني على الفنِّ الحديثِ!

قصة

وَأخيراً عادَ إلى البَيْتِ!

هَذهِ البُقعةُ المُمتدَّةُ بينَ الجبالِ والمُرتَفَعاتِ حبيبةٌ إلَيهِ. هَذا الوادي هو مَوْطِنُه! هُنا يَقعُ منزِلُه! هُنا المكانُ الّذي يَحلُمُ به! لَم يَتغيَّرْ فيه أيُّ شيءٍ: أَلْحَنَفِيّاتُ (الصَّنابيرُ) الّتي كانَتْ تَرُشُّ الماءَ في المَمرّاتِ العُشْبيّةِ لا تَزالُ كما كانَتْ؛ والبَلدةُ الّتي وُلِدَ فيها لا تَزالُ كما كانَتْ؛ حينَ غادرَها مُنذُ سَنواتٍ، هادئةً، رائعةً بما يتَّصفُ به أَبناؤُها مِن بساطةٍ وواقعيَّةٍ.

راحَ يَمشي في الشّارِعِ وهُو يَشعُرُ بالسُّرورِ وبالنَّشوةِ لعَودتِهِ إلى بَلدتِهِ. كلُّ شيءٍ كانَ حُلواً، جميلاً، مألوفاً: رائحةُ التُّرابِ، وهواءُ الصَّيفِ العابقُ بطُيوبِ النَّباتِ في الوادي، وعرائشُ الكُرومِ ذاتُ الخُضْرةِ

القاتمةِ، وأَشجارُ الفاكهةِ بما تَحمِلُه مِن ثمارٍ ناضجةٍ، وشُجَيْراتُ **الدِّفْلى** بأَزهارِها الجميلةِ، ذَلكَ كلُّه لَم يَتغيَّرْ فيه شَيءٌ. وراحَ يَتنفَّسُ تنفُّساً عميقاً، ويَتنشَّقُ طيبَ رائحةِ مَوطِنِه ملءَ رِئَتَيهِ، وهُو ظاهرُ الانشراحِ. وكانَ الجوُّ حارّاً. لَم يَكُنْ قَد أَحسَّ بمِثلِ هَذا الشُّعورِ نحوَ الأَرضِ مُنذُ سَنواتٍ. أمّا الآنَ فهُو سعيدٌ بأَنْ يَتنفَّسَ. نَقاوةُ الهواءِ كانَتْ تُثيرُ فيه رَوعةَ الوُجودِ، وجَلالَ الكِيانِ، وصفاءَ التَّفكيرِ، وعَظَمةَ الحياةِ.

وسَمِعَ صوتَ الماءِ النّاعمَ تَبعثُه الحَنَفيّةُ (الصَّنْبورُ) الّتي تَرُشُّ الماءَ. ما أَعذبَ ماءَ الوطنِ، ماءَ هَذا الوادي المُنعِشَ! ما أَحلى الظَّمأَ الّذي يُطفِئُه هَذا الماءُ الطّيِّبُ الصّافي! هَذِهِ في نَظرِهِ أُمْنِيَّةٌ حقَّقَتْها له الحياةُ. ثُمَّ رأى رَجلاً مُسِنّاً يُمسِكُ بخُرْطومِ مياهٍ يَسقي به بعضَ الأَزهارِ. ودَفعَهُ ظَمَؤُه نحوَ هَذا الرَّجلِ، فقالَ له بهُدوءٍ:

ـ مساءُ الخيرِ. هَل لي بشَرْبةِ ماءٍ؟

الدِّفلى: شَجرٌ زهرُه عادةً كالوردِ الأَحمرِ وحَملُه كالخَرّوبِ.



واستدارَ الرَّجلُ المُسنُّ ببُطءٍ نحوَ الشّابِّ، وقَدِ انتشرَ ظِلُّه المَديدُ على جدارِ البيتِ، ونَظرَ في وَجهِهِ مُعجَباً ومسروراً في آنٍ:

ـ بكُلِّ تأكيدٍ!

ثُمَّ حَوَّلَ فَمَ الخُرطومِ ليَصُبَّ الماءَ في يدَيِ الشّابِّ وقَدْ جَمعَهُما معاً كالكوبِ. وقالَ كمَنْ يُحدِّثُ نَفْسَهُ:

ـ ماءٌ عَذبٌ، شديدُ الصَّفاءِ! ماءُ هَذا الوادي! ماءٌ زُلالٌ! هو أفضلُ ما في هَذِهِ المَنطِقةِ!

وفي حينِ كانَ الرَّجلُ يَتكلَّمُ، كانَ الشّابُّ يُصغي إلى صوتِ الماءِ الجاري مِنَ الخُرطومِ بغَزارةٍ، نقيّاً، غائراً في التُّرابِ. ثُمَّ قالَ له:

ـ حقٌّ ما تَقولُ! ماؤُنا أعذبُ ماءِ الدُّنيا!

وحَنى الشّابُّ رأسَهُ فوقَ المياهِ الدّافقةِ في يَدَيهِ، ثُمَّ أخذَ يَشربُ. أدهشَهُ مَذاقُ الماءِ بعُذوبتِهِ وصَفائِهِ وغِناهُ. كانَ يَشعرُ به مُنعِشاً يَسري في كِيانِهِ. ثُمَّ رَفَعَ

الزُّلالُ: العَذبُ الصّافي.

رأْسَهُ ليَستريحَ قليلاً، وقالَ:

ـ نحنُ، أَبناءَ هذا الوادي، مَحظوظونَ.

ثُمَّ حَنى رأسَهُ ثانيةً فوقَ يَدَيهِ، وراحَ **يَعُبُّ الماءَ** الدّافقَ عَبّاً، وهُو عظيمُ النّشوةِ بِما يَفعلُ. فكأنَّهُ لَم يَكُنْ يَستطيعُ أَن يُرويَ ظَمَأَهُ. لَكَأَنَّ عُذوبةَ الماءِ كانَتْ تَزيدُ كُلَّما زادَ ما يَشربُه مِنهُ، فتَزدادُ بالتّالي رَغبتُه في أَن يَزدادَ مِنها.

وكانَ الرّجلُ المُسِنُّ يَقفُ **حِيالَهُ** مُندهِشاً، متعجِّباً. فقالَ له:

ـ لقَدْ شَرِبْتَ ما يَملأُ نِصفَ جرّةٍ تقريباً!

وسَمِعَهُ الشّابُّ وهُو لا يَزالُ يَعُبُّ الماءَ. ورَفعَ رأْسَهُ وقالَ:

ـ أَحْسَبُ هَذا. ماءٌ لذيذٌ بالتّأكيدِ!

ثُمَّ مَسحَ فَمَهُ بِمنديلٍ وأَمسَكَ بخُرطومِ الماءِ، يَودُّ أَن يَشربَ أكثرَ فأكثرَ. رَوعةُ هَذا الوادي، نَقاوَتُه،

عبُّ الماءِ: شَرِبُهُ أو كَرعهُ بلا تنفُّسٍ.

حِيالَهُ: قُبالتَهُ وإزاءَهُ

حَلاوَتُه، بساطَتُه، هذا كلُّه كانَ مُجتمِعاً في مائِهِ.

وهُنا سَأَلَهُ الرَّجُلُ المُسنُّ:

ـ كَم مَضى عليكَ مِنَ الوقتِ ولَمْ تَشربْ؟ يَبدو أنَّكَ عَطشانُ حقّاً!

ـ سنَواتٌ! لَم أَشربْ مِن هَذا الماءِ مُنذُ سنَواتٍ. كُنتُ أتنقَّلُ مِن مكانٍ إلى مكانٍ. اَليومَ عُدتُ إلى مَسْقَطِ رأسي هُنا. هَل تَعلمُ ما مَعنى أَن يَعودَ الإنسانُ إلى بلادِهِ؟ عظيمٌ حقّاً. لقَدْ قرّرْتُ أَن أَبقى في بلادي، أَن أعملَ هُنا. لَن أُغادرَ هَذا الواديَ ما حَييتُ!

وخَفَضَ رأسَهُ فوقَ الماءِ مرّةً أُخرى وجَرَعَ بِضْعَ جُرَعٍ، ثُمَّ رَدَّ خُرطومَ الماءِ إلى الرَّجلِ المُسِنِّ.

وهُنا قالَ له الرَّجلُ:

ـ لقَدْ كُنتَ شديدَ الظَّمأِ حقّاً. لَم أَعرفْ إنساناً آخَرَ شَرِبَ مِثلَ هَذا المِقْدارِ مِنَ الماءِ دُفعةً واحدةً. كانَ يَبدو أنَّكَ ستَشربُ نبعَ الماءِ كلَّهُ!

هُنا شَكَرَ الشّابُّ الرَّجُلَ وتابعَ سَيرَهُ، وهُو يُردِّدُ أُغنيةً بصَوتٍ مُنخفِضٍ، والرَّجلُ يُودِّعُه بنَظَراتِهِ.

وقالَ الشّابُّ لنَفْسِهِ:

ـ ما أَجملَ العَودةَ!...

لقَدْ عادَ إلى مَوطنِهِ عَبْرَ مَسافاتٍ طويلةٍ قَطَعَها سَيراً على القَدمَينِ. كانَ يَتوقَّفُ هُنا أَو هُناكَ لِلاستراحةِ مِن عَناءِ السَّفرِ، ثُمّ يَعودُ إلى السَّيرِ **الحَثيثِ المُضني مُتوخّياً** أَن يَصلَ إلى مَوطنِهِ بأَسرعِ وقتٍ ليَرى أَهلَهُ: والدَهُ، ووالدتَهُ، وأَخاهُ، وشقيقاتِه الثَّلاثَ... والأَرْضَ الّتي تَركَها مُنذُ بِضعِ سَنواتٍ. صحيحٌ أَنّ تَوقُّفَهُ في بعضِ المُدنِ ذاتِ المَباني الفَخمةِ، والأنوارِ السّاطعةِ، كانَ يُثيرُ فيه المَيْلَ إلى البقاءِ فيها، لَكنَّهُ كانَ يَعودُ إلى قَرارِهِ فيُواصِلُ السَّيرَ قاصداً الواديَ الّذي رأى فيه النّورَ مُنذُ سَبْعٍ وعشرينَ سنةً، حَيثُ الطّبيعةُ هادئةٌ جميلةٌ، والهواءُ عليلٌ نقيٌّ، والماءُ عذبٌ رَقْراقٌ، والنّاسُ بُسَطاءُ طيّبونَ. هَذهِ الأُمورُ، وغَيرُها، أَسرارٌ نَفْسيّةٌ كانَتْ تَشدُّه بِعُنفٍ

الحَثيثُ: السّريعُ والنّاشطُ.
المُضني: المُتعبُ المُثقِلُ لِهِمّةِ.
مُتوخّياً: متعمّداً وقاصداً.

لمُتابَعةِ السَّيرِ إلى بَلدتِهِ.

في البَدةِ انعَطفَ إلى الشّارعِ الّذي يَقعُ فيه منزلُه. وعلى مسافةٍ غيرِ بعيدةٍ منهُ رأى وُجوهاً عَرَفَها. ورأى شابّاً، كانَ زميلاً له وصديقاً قبلَ مُغادَرتِهِ البَلدةَ، يتّجهُ نَحوَهُ. سَرّهُ أنّهُ عَرَفَهُ، وأحسَّ كأنّهُ يَستعيدُ حُلُماً... تَذكَّرَ أيّامَ المدرسةِ حينَ كانا يَذهبانِ إليها معاً، وخَطرَتْ ببالِهِ نُزُهاتٌ قاما بها إلى بِركةِ السِّباحةِ اتّقاءً لحرِّ الصَّيفِ. وعادَتْ إلى خاطِرِهِ ذِكرياتُ تَراشُقِهِما بالماءِ في البِركةِ، وحُضورِهِما الحَفَلاتِ السّينمائيّةَ مرّةً في الأسبوعِ. هَذهِ الخواطرُ كلُّها تَدافعَتْ في رأسِهِ حينَ توقّفَ زميلُه أمامَهُ، وتَعانقا فرحاً باللِّقاءِ، وقَدْ عَجِزا عَنِ الكلامِ مِن شِدّةِ التّأثُّرِ. تَصافَحا، ورَبَّتَ كلٌّ مِنهُما كَتِفَ رفيقِهِ، ثُمّ ضَحِكا بصَوتٍ عالٍ:

ـ أينَ قَضَيتَ هَذهِ السّنواتِ العَشْرَ؟ كيفَ قَضَيتَها؟

لَم يَرُدَّ على تَساؤلِ زميلِهِ باديَ الأمرِ، فكأنَّ لسانَهُ مُنعقِدٌ في فَمِهِ. وشَدَّهُ زميلُه إليهِ ثانيةً، وذكّرَهُ بعباراتٍ كانا يُطْلِقانِها حينَ كانا معاً. وبعدَ لَحَظاتٍ قليلةٍ بَدا أنَّ

عُقدةَ لسانِهِ انحلَّتْ، فقالَ:

ـ يجبُ أَن أَذهبَ إلى البيتِ. أَهلي لا يَعرِفونَ أَنَّني عُدْتُ. يَجبُ أَن أَذهبَ لأَرى والدي، ووالدتي، وشقيقي، وشقيقاتي. إنَّني أَتحرَّقُ شوقاً إلى رؤيةِ أَهلي!

كانَ كَمَن يَبدو عليهِ أَنَّهُ أَحسَّ بارتكابِ خطأٍ بالعَودةِ إلى ذَويهِ على هَذهِ الصّورةِ المُفاجئةِ، بعدَ طولِ غيابٍ. غَيرَ أَنَّهُ خطأٌ جميلٌ لا يُثيرُ النَّدَمَ!

وابتسمَ مودِّعاً رفيقَهُ، ثُمَّ عادَ يَسيرُ باتِّجاهِ البيتِ. كانَ يُرَدِّدُ في نَفْسِهِ أَنَّ الحياةَ بينَ ذَويهِ ستَكونُ هانئةً. إنَّهُم سيُسَرّونَ برُؤيتِهِ بعدَ هَذا الهَجْرِ الطَّويلِ.

وفي الطَّريقِ فكَّرَ في شراءِ هديَّةٍ صغيرةٍ لوالدتِهِ. مِثلُ هَذهِ الهديّةِ الصّغيرةِ ستَبعَثُ السُّرورَ في قلبِها. غيرَ أَنَّ النُّقودَ الَّتي لدَيهِ قليلةٌ لا تَكفي لشراءِ هديَّةٍ جميلةٍ. أَلهدايا الصّغيرةُ الجميلةُ عاليةُ الثَّمَنِ. ثُمَّ عادَ فقالَ لنَفْسِهِ إنَّهُ سيَشتري لها الهديَّةَ في وقتٍ لاحقٍ.

وفي وقتٍ قصيرٍ جدّاً، بعدَ بِضعِ مئاتٍ مِنَ

الخُطُواتِ، سيَكونُ أمامَ بابِ المَنزلِ الصَّغيرِ. سيَدخُلُ البيتَ حَيثُ يَجدُ أفرادَ العائلةِ يَعيشونَ معاً حياتَهُمُ البسيطةَ الهادئةَ.

توقَّفَ على بُعدِ نَحوِ خمسينَ متراً مِنَ البيتِ. بدأَ قلبُه يَخفُقُ بسُرعةٍ. ثُمَّ أَحسَّ فجأةً بالِاضطرابِ والخوفِ. وهُنا ذَكرَ شيئاً كانَ قَد نَسيَهُ أَثناءَ غيابِهِ، شيئاً هو الّذي دَفعَهُ إلى السَّفرِ. وظَلَّ يَقتربُ مِنَ البيتِ... ولَكنْ بخُطُواتٍ بطيئةٍ وقصيرةٍ، حتّى وَجدَ نَفْسَهُ أمامَ المَدخلِ... وسُرعانَ ما عادَ إلَيهِ كُرهُه القديمُ لهَذا المنزلِ، وعادَتْ إلَيهِ رَغبتُه في الِابتعادِ عَنهُ. لماذا لَم يَترُكْ والداهُ هَذا المكانَ؟ حقّاً إنَّ الماءَ عذبٌ، رائعٌ. ولَكنَّ في هَذا المكانِ أَشياءَ دَفعَتْهُ إلى الرَّحيلِ... وكانَ يَظنُّ يومَ رحيلِه أنَّهُ لَن يَعودَ.

وخَطا نَحوَ البابِ خُطوةً أُخرى، ناظراً إلى البيتِ كأنَّهُ غريبٌ، كأنَّهُ لا صِلةَ له به... لَكنَّهُ عادَ فذكَرَ أنَّهُ مَسقَطُ رأسِهِ... المكانُ الّذي حَلَمَ به أثناءَ غيابِهِ... المكانُ الّذي لَم يَبْرَحْ يُراوِدُ مُخيِّلتَهُ أَينَما ذَهبَ. كانَ

يَخشى أَن يَراهُ أَحدٌ لأَنَّهُ كانَ يَشعرُ بأَنَّهُ سيُبادِرُ إلى الفِرارِ في أيِّ لحظةٍ، **على رُغْمِهِ**. ولَكنَّهُ، في قَرارةِ نَفْسِهِ، كانَ يُحبُّ أَن يَراهُم جميعاً... أَن تَقعَ عَليهِم عَيناهُ.

وفي هَذهِ اللَّحظاتِ مِنَ التَّردُّدِ تَنبَّهَ على الخَرابِ في هَذهِ الضّاحيةِ. لَم يَكُنْ قَد لَحَظَ هَذا مِن قَبلُ. أمّا الآنَ فقَدْ داخَلَهُ الخوفُ... لَم يَبقَ الشَّوقُ وَحدَهُ هو الَّذي يَملأُ قلبَهُ؛ كانَ موزَّعاً بينَ كُرهِهِ القَديمِ، وحبِّهِ الاجتماعَ بشقيقِهِ وشقيقاتِهِ ووالدَيهِ. إنَّ حياةَ المَلَلِ والفَقرِ هي الّتي حَملَتْهُ على الرَّحيلِ... ثُمَّ ها هو الشَّوقُ يَعودُ بهِ... ولَكنْ... هَل يَكونُ أَهلُه كلُّهُم في البيتِ؟

وتَذكَّرَ أنَّهُ لَم يَتناولْ طعاماً مُنذُ الصَّباحِ، وأنَّهُ كانَ يَحلُمُ مُنذُ شُهورٍ بأَن يأكلَ مرَّةً أُخرى ممّا تُعِدُّه له والِدتُه مِن طعامٍ، وهُو جالسٌ إلى المائدةِ بينَ ذَويهِ. وفجأةً أَحسَّ بفَقدِ **الشّاهيةِ** للأَكلِ. وأَخذَ يُحسُّ بضَغطِ هدوءِ

على رُغمِهِ: على كُرْهٍ مِنهُ.

الشّاهيةُ: الشهوةُ، الرّغبةُ الشّديدةُ. أمّا الشّهيّةُ فمعناها اللّذيذةُ الّتي تُشْتهى.

الوادي... هَذا الهدوءُ الّذي أَحبَّهُ لحظةَ وُصولِه بدأَ يَتحوَّلُ إلى رُتوبٍ ومَلٍ. غيرَ أنّهُ كَرِهَ أَن يَعودَ أَدراجَهُ، أَن يَرحلَ ثانيةً قبلَ أَن يَرى والدَيهِ وأَخاهُ وشقيقاتِهِ، ويَجلِسَ إِلَيهِم، ويَعيشَ معَهُم. وَدَّ لَو يَقرعُ البابَ، ويَدخلُ! هَذا ما كانَ يَتمنّاهُ طَوالَ شُهورٍ. لماذا عادَتْ به ذاكِرتُه إلى هَذا الشَّيءِ الّذي كَرِهَهُ وجَعَلَهُ يَرحلُ؟ لَم يَتغيَّرْ شيءٌ عَمّا كانَ حينَ غادرَ الواديَ... كلُّ شيءٍ كانَ يَبدو له بَشِعاً!.. لا! لَن يَدخلَ البيتَ! هَل يَعودُ إلى الحياةِ الّتي هَربَ مِنها؟

في هَذهِ اللَّحظةِ تَنبَّهَ على شَكلِ الخُضَرِ بِقُربِ المنزلِ. والدتُه كانَتْ تُحبُّ زراعةَ الخُضَرِ. كلُّ شيءٍ إذاً لا يَزالُ كما كانَ! عجَباً له! كيفَ لَم يَلحظْ هَذا مِن قَبلُ، وقَدْ مَضتْ عليهِ دقائقُ طويلةٌ وهُو في هَذهِ الحالِ؟ وفجأةً رأى إحدى شقيقاتِهِ تَدخلُ المطبَخَ. كانَ واقفاً قُبالةَ نافذةِ المطبَخِ يَرى مَنْ يَدخُلُ إلَيهِ ولا يَراهُ الدّاخلُ. ثُمَّ رأى أُختَهُ الأُخرى تَدخلُ المطبَخَ، حاملةً بقايا مائدةِ الطَّعامِ. وما إن رأى شقيقَهُ يَدخُل

المطبَخِ، ويَتناولُ كوباً مِنَ الماءِ لِيَشربَ، حتّى بدأَ يَتحرّكُ. كانَ يَظنُّ نَفْسَهُ يَبتعدُ عَنِ البيتِ. لقَدْ حَسِبَ أَنَّهُ أَرضى شَوقَهُ، وخَشِيَ أَن تكونَ والدتُه لا تَزالُ تَذكُرُ تَصرُّفاتِهِ المُزعِجَةَ. وشَعرَ بشيءٍ مِنَ **الاستياءِ** في قَرارةِ نَفْسِهِ لأَنَّهُ تَذكَّرَ أنَّهُ لَم يَكُنْ يَفعلُ ما يُرضيها. أَتُراها لا تَزالُ غاضبةً عليه؟ أَم إنَّها تغيَّرَتْ؟ كادَ أَن يَصرُخَ وهُوَ يَمشي. كانَتْ عَيناهُ تَدْمَعانِ، وهُوَ يَمشي باتِّجاهٍ يَحسَبُ معَهُ أَنَّهُ يَعودُ إلى مكانٍ بعيدٍ... إلى السَّفرِ. غيرَ أَنَّهُ وَجدَ نَفْسَهُ أمامَ البابِ وقَدِ انفتحَ، ووَقفَ الجميعُ يَمُدّونَ إليهِ أَيدِيَهُم مُرحِّبينَ، مُعانِقينَ!.. وفي أَعيُنِهِم دموعُ الفرحِ!

ألبيتُ... ألوادي... كلُّ شيءٍ في إشراقٍ، حتّى الخوفُ والتَّردُّدُ و**الانقباضُ** الّتي أَحسَّ بها مُنذُ لَحظاتٍ تَبدَّلَتْ شُعوراً بالسَّعادةِ والاطْمِئنانِ!

الاستياءُ: الشّعورُ بالانزِعاجِ والحزنِ مِن أمرٍ ما

الانقِباضُ: الانكِماشُ والاشمِئزازُ.

الاستثمارُ التّربويُّ

من أجْلِ عينَيها

1 في الفَهمِ والتّحليلِ

1 لعُنوانِ هذهِ القصّةِ علاقةٌ وثيقةٌ بمضمونِها، بيّنْ هذه العلاقةَ معلّلاً إجابتكَ.

2 عُرِفَ الشّابُّ أنطونُ بنشاطه ومُثابرته على العملِ؛ كيفَ ظهر لكَ هذا الأمرُ في القصّةِ.

3 كيفَ كانت الفتياتُ يُداعبْنَ أو يُمازحْنَ زاشكا؟ ولماذا؟

4 لماذا توقّفَ أنطونُ عَنِ البناءِ فترةً؟ وكيفَ كانَتْ مشاعرُ زاشكا أمامَ هذا التّوقُّفِ؟

5 لماذا تجنّبَ كلٌّ مِن أنطونَ وزاشكا حضورَ حفَلاتِ الزّواجِ بعدَ حضورِهما العُرسَ الأوّلَ؟

6 لماذا تَردّدَ كانْتا في طَلبِ يدِ زاشكا؟

7. ما الدّورُ الّذي يُمثّلُه الفنّانُ كانْتا في هَذهِ القصّةِ؟

8 ما العواملُ النّفسيّةُ الّتي كانَتْ تَتجاذبُ زاشكا خلالَ الأحداثِ؟ علّلْ أسبابَ هَذهِ العواملِ.

9 كيفَ تبدو لكَ شخصيّةُ أنطونَ في هذه القصّةِ؟ وهل أعجبتْكَ هَذهِ الشّخصيّةُ؟ ولماذا؟

10 هل كُنتَ تتوقّعُ نهايةَ القصّةِ كما حصلَتْ؟ لماذا؟

2 مِن وَحْيِ النّصّ

1. تجري أحداثُ هَذهِ القصّةِ في «فِنْلَندا»؛ زوّدْنا ببعض

المعلوماتِ عَن هَذهِ الدَّولةِ: مَوقِعِها، مِساحتِها، عاصمتِها، عددِ سكّانِها، أبرزِ عاداتِها وتقاليدِها...

2 هَل تُحبِّذُ (تُحِبُّ وتؤيِّدُ) زواجَ الشُّبّانِ والشّابّاتِ في سِنٍّ مُبكِرةٍ، كما يحصُلُ في «فِنْسَدا»؟ لماذا؟

3 هل تعتقدُ أنَّ الحُبَّ يُقوّي عزيمةَ الإنسانِ ويزيدُه اندفاعاً لِلقيامِ بأعمالٍ غيرِ عاديّةٍ؟ علِّلْ إجابتَكَ واستشهِدْ بحدثٍ يؤكِّدُ وُجهةَ نظرِكَ.

4 للحُبِّ أنواعٌ عديدةٌ، عدِّدْ ما تعرفُه من هذه الأنواعِ، مُحدِّداً أيٌّ منها أصدقُ وأمتنُ من غيرِه.

5 وردَ في سياقِ القصّةِ السُّؤالُ التّالي: «أليسَ في البُطءِ ما يُسيءُ إلى السّعادةِ؟». أجِبْ عن هذا السُّؤالِ مُعلِّلاً.

6 هل تُحبُّ أنتَ الموسيقى؟ وأيَّ نوعٍ منها تفضِّلُ؟ وأيُّ آلةٍ موسيقيّةٍ يستهويكَ صوتُها؟ ولماذا؟

7 جاءَ في القصّةِ أنَّ كانَ العازفَ، على رُغمِ براعتِه، لم يكُنْ قد جمعَ مالاً من عملِه؛ هل ترى أنَّ الفنَّ لا يدُرُّ على صاحبِهِ مالاً وفيراً يؤمِّنُ له العَيشَ باكتفاءٍ وكرامةٍ؟ علِّلْ إجابتَكَ.

8. أفي بيتٍ صغيرٍ تُفضِّلُ أنْ تعيشَ بعدَ زواجِكَ، أَم في بيتٍ كبيرٍ؟ لماذا؟

3

في التّعبيرِ واللُّغةِ

1 لخِّصْ أحداثَ هذه القصّةِ بما لا يُجاوِزُ خمسةَ عشرَ سطراً.

2 ضعْ مكانَ الفتاةِ شابّاً، ومكانَ الشّابِّ فتاةً، وغيِّرِ العبارةَ التّاليةَ ضابطاً كَلِماتِها بالشّكلِ الصّحيحِ: «وطبيعيٌّ أن تكونَ كلُّ فتاةٍ قد عرفَتْ في سرِّها الشّابَّ الّذي انتقاه عروساً لأحلامِه».

3 صغْ مكانَ الفتياتِ شُبّاناً في الجُملةِ التّاليةِ، ثُمّ حوِّلْها إلى صيغةِ المذكّرِ ضابطاً كَلماتِها بالشّكلِ الصّحيحِ:
«وكثيراتٌ هُنَّ الفتياتُ اللّواتي داعبْنها ومازحْنها، محبّةً بها، أو غَيرةً منها، مُشيراتٍ إلى أنّ النساءَ لَن يكتمِلَ في الرّبيعِ التّالي».

4 أوّلِ المصدرَ من «أنْ والفعل»، ضابطاً إيّاه بالشّكلِ التّامّ ومحدّداً محلّهُ في الإعرابِ:
- مِن غيرِ (أن يتأثّرَ) بالبردِ الشّديدِ - يَجبُ (أَن يكونَ) له منزلُه - قَبْلَ (أَن يَتزوَّجَ) - لَم يكُنْ لأيِّ شابٍّ (أَن يحيدَ) عَنهُ - مِن عادةِ الوالدِ والابنِ (أن يقوما) معاً - لقَدْ شاءَ (أن يَجمعَ) مالاً - لقَدْ غاظَها (أن يتندّرَ) الشُّبّانُ - وأثارها (أن يتساءَلوا) - غرَّهُ حِرصُه على (أن يكونَ) بيتُه كبيراً - أوشكَ الرّبيعُ (أن يُطلَّ).

5 فصِّلْ إعرابَ ما يلي:
«ولكنّ الشُّبّانَ الآخرينَ المُقبلينَ على الزّواجِ كادوا يُنجِزونَ بناءَ منازلِهم».

24 اللُّقمةُ المُرّةُ

1 في الفَهمِ والتّحليلِ

1 ما سببُ زيارةِ رياضٍ لعسّانَ في مكتبِه؟ وماذا كانَ يأملُ منهُ؟ ولماذا؟

2 لماذا لم يعرفْ عسّانُ رياضاً باديَ الأمرِ، مع أنّهُ صِهرُه؟ أم تُراهُ عَرَفَهُ ولكنّهُ تظاهرَ بعدمِ معرفتِه؟ علِّلْ إجابتَكَ.

3. لماذا كانَ رياضٌ في حالةِ غضبٍ وتألُّمٍ وثورةٍ عِندَ لِقائِهِ غسّان؟
4. قابِلْ تصرُّفَ غسّانَ تجاهَ رياضٍ قبلَ أن عرفهُ، بتصرُّفِه بعدما عرفهُ.
5. ما المَتاعبُ الّتي واجهَتْ غسّانَ في عملِهِ؟
6. لماذا ظنَّ غسّانُ أنَّ رياضاً خاصمَ أُختَهُ سُعادَ؟
7. لماذا رَفضَ غسّانُ أَنْ يمنحَ رياضاً العملَ الّذي طلبَهُ؟ وما البراهينُ والحُججُ الّتي كانَ يقدِّمُها لإقناعِ رياضٍ بوجهةِ نظرِهِ؟
8. ما العملُ الّذي كانَ رياضٌ قد قَبِلَ به مرّةً، ثُمَّ توقَّفَ عنهُ؟ ولأيِّ سببٍ توقَّفَ؟
9. لماذا كانَ رياضٌ يُصرُّ على القيامِ بأيِّ عملٍ حتّى ولو كانَ محفوفاً بالأخطارِ؟
10. في القصّةِ حوادثُ إنسانيّةٌ كثيرةٌ. إشرحْ كُلّاً منها وحدَهُ.

2 من وَحْيِ النّصّ

1. هل تَرى أنَّ من واجبِ الأقرباءِ مساعدةَ بعضِهم بعضاً؟ لماذا؟
2. هل ترى تعارُضاً بينَ الاعتمادِ على النّفسِ والاستعانةِ بالأقرباءِ عندَ الضّرورةِ؟ علِّلْ إجابتَكَ.
3. إذا ضاقَتْ بكَ الأحوالُ ولم تجدْ عملاً إلّا نقلَ المتفجّراتِ كما جاءَ في القصّةِ، فهلْ تُقدِمُ على هذا العملِ؟ ولماذا؟
4. ما العملُ الّذي يُمارسُه والدُكَ؟ وهلْ تراهُ عملاً خطِراً؟ لماذا؟
5. أتُحبُّ أنْ تُمارسَ عملَ أبيكَ، أم تفضِّلُ عملاً آخرَ؟ ولماذا؟
6. أترغبُ في أنْ تتزوّجَ وتُكوِّنَ أُسرةً تكونُ أنتَ مُعيلَها، أم تفضِّلُ أنْ تبقى أعزبَ؟ لماذا؟

في التعبيرِ واللُّغة

1 أَعِدْ صياغةَ العباراتِ التّاليةِ بأسلوبِكَ أنتَ، محافظاً على المَعنى في كلٍّ منها:

- كانتْ نظرةُ عثمان هذه قصيرةً، لا مُباليةً، تدُلُّ على أنّهُ غيرُ مُستعدٍّ لصَرفِ وقتٍ طويلٍ مع الزّائر؛ حتّى إنّ رياضاً أحسَّ بسلوكِ قريبه واشمأزّ منهُ.
- وأبقى عثمانُ عينيه محوَّلتين عن حذاء رياض، وقد امتلأ قلبُه عطفاً. كانتْ حالُ رياضٍ مُفجعةً، وهُو لم يرَ من قبلُ رجلاً رثَّ الهيئة مثلهُ.
- قال عثمانُ هذا ضاحكاً، ثُمّ أدار وجهَهُ، وقدْ أثارهُ هذا الحبُّ القويُّ، وتمنّى لو استطاع مساعدتَهُما، وكلاهُما لا يقوى على تحمُّلِ المشاقِّ والشّقاء.
- وكادَتْ مَلامحُ وجهِ رياضٍ تَنُمُّ عَنْ حَيرة: هَل يعودُ عَنْ إصراره؟ لكنَّ أساريرَ وَجهِه قَسَتْ، واتّضحَتِ النّقمةُ الحادّةُ على وجهِه.

2 حاولْ أنْ تتخيّلَ خاتمةً مناسبةً للقصّة، بعد عودة رياضٍ إلى البيت.

3 رتّبِ الكلماتِ المُبعثرة في ما يلي، لتحصُل على جملةٍ صحيحةٍ:

- عجز لقدْ لكنّهُ حاولَ هندامهُ قبْل يُصلحَ مجيئه أنْ.
- كانَ بريئةٌ كمنْ شفقةٌ ينظُر عينيه إلى وفي بقيّةِ محطَّم حصانٍ عجوزٍ.
- لكنّ – الأمر – هذا – بادئ – الوجه – يتعرّفهُ – الّذي أنْ يراهُ يستطعْ الآنَ لمْ شديدُ لد الهُزال

4 حَدِّدْ في ما يلي محلَّ كلٍّ مِنَ الكلماتِ المرفوعةِ، في الإعراب:

أَجَلْ. أنا رياضٌ، صِهرُكَ رياضٌ. شقيقتُكَ تبعثُ إليكَ بتحيّاتِها

3 جَزاءُ الفَنِّ

أ في الفهمِ والتّحليلِ

1 بعدَ قراءتِكَ هذهِ القصّةَ، هل تجدُ عُنوانَها مناسباً لمضمونِها؟ علّلْ إجابتَكَ، ثُمَّ اقترِحْ عنواناً آخرَ تراهُ أفضلَ وأنسبَ من هذا العُنوانِ.

2 قالَ بولُ لِليتشيلّا تعليقاً على رسمِها في أوَّلِ القصّةِ: «أنتِ لُغزٌ عظيمٌ»؛ هل أثبتَتْ أحداثُ القصّةِ صحّةَ هذا الوصفِ؟ كيفَ هذا؟

3 ماذا أخبرتْ ليتشيلّا بولَ عنِ الرَّجلِ البادي في اللَّوحةِ؟ وما كانَ مَوقِفُ بولَ لدى سَماعِها؟

4 ما الخطّةُ الّتي نفّذَها بولُ للانتقامِ منْ جاكسون بلبث؟

5 لماذا وقفَ السّيّدُ بيتسُ مُسمَّراً أمامَ اللّوحةِ الّتي تُمثِّلُ شخصَينِ؟ ولماذا تصبّبَ العَرَقُ منْ جبينِهِ، وأحسَّ بغُصّةٍ خانقةٍ؟

6 لماذا حَجزَ اللّوحةَ وقرَّرَ أنْ يتعرَّفَ بالفنّانِ الّذي رَسمَها؟

7 لماذا اعتبرَ السّيّدُ بيتسُ أنَّ الرّسمَ بشكلٍ فضيحةً لا تُحتمَلُ؟

8 ماذا عَنى بولُ بقَولِهِ: «حتماً إنّهُ ابتزازٌ، ولكنّهُ ابتزازٌ شريفٌ» وهل يوجَدُ حقّاً ابتزازٌ شريفٌ؟ لماذا؟

9 أتوافِقُ بولَ على انطباعِهِ عنِ النّساءِ في قولِهِ: «حقّاً إنَّ النّساءَ لمخلوقاتٌ غريبةٌ عجيبةٌ»؟ علّلْ إجابتَكَ.

10 هَل فاجأتْكَ خاتمةُ القصّةِ؟ لماذا؟

11 بمَ شعرَ بولُ حينَ اكتشفَ أنَّ شيلا خدعتْهُ كما خدعتْ بيتَ قبلهُ؟ ولماذا؟

12 كيفَ تحكُمُ على تصرُّفِ بيتَ في إبطالِه مفعولَ الشّيكِ الّذي كتبَهُ لشيلا؟

② مِن وَحْيِ النَّصِّ

1 تَجري أحداثُ هَذهِ القصّةِ في إحدى مُدُنِ «بَريطانيا»؛ ماذا تَعرفُ عَن هَذهِ الدّولةِ؟ وما الاِسمانِ الآخَرانِ اللّذانِ تُعرَفُ بهما؟

2 هَل تحبُّ أنتَ زيارةَ المَعارِضِ الفنّيّةِ أوِ الثّقافيّةِ؟ لماذا؟

3 هل حصَلَ لكَ أنْ خَدَعَكَ أحدُ الأشخاصِ، ثُمَّ اكتشَفْتَ حقيقتَهُ؟ وما كانَتْ ردّةُ الفعلِ عندَكَ؟

4 قالَ بولُ عَن رسمِ جاكسونَ بليكَ: «رسَمْتُه مِن ذاكرتي كما أرسمُ غيرَهُ من الشّخصيّاتِ»؛ هل ترى ذاكرةَ الرّسّامِ دقيقةً وقويّةً فعلاً إلى حدِّ أنْ يرسُمَ الشّخصيّةَ مِن دونِ أنْ تكونَ أمامَهُ؟ وإذا كانَتْ هكذا بالفعلِ، فما رأيُكَ فيها وفي صاحبِها؟

5 مَنِ الّذينَ تُطلَقُ عليهم عادةً تسميةُ «رجالُ الأعمالِ»؟ وماذا يُميّزُهم من غيرِهم؟

6 هل تُحبُّ أنتَ أنْ تكونَ من رجالِ الأعمالِ؟ لماذا؟

7 للرّسمِ طرائقُ عديدةٌ ومتنوّعةٌ من حيثُ الألوانُ والأدواتُ؛ عدِّدْ ما تعرفُهُ من هذهِ الطّرائقِ، وأخبِرْنا أيَّ طريقةٍ منها تفضّلُ؟ ولماذا؟

8 وللرّسمِ أيضاً مَدارسُ أو مَذاهبُ فنّيّةٌ عديدةٌ؛ عدِّدْ ما تعرفُهُ منها، وأخبِرْنا أيَّ مدرسةٍ أو مذهبٍ تُفضّلُ؟ ولماذا؟

في التعبيرِ واللُّغة

1 قال جاكسونُ بيتُ قُبيلَ آخر القصّة متحدّثاً عن شتيلّا: «والآن أتساءلُ: تُرى، من يكونُ فريستها التّالية؟». تخيّلْ أنت فريسةً جديدةً لِشتيلّا، وأخبرنا كيف نشأت العلاقةُ بينَهما وكيفَ انتهتْ.

2 حوّل العبارة التّالية إلى صيغة المثنّى ثُمّ إلى صيغة الجمع، مغيّراً ما يلزمُ تغييرُه، وضابطاً الكلمات بالشّكلِ الصّحيح:
«وتجعّدَ جبينُ الفتاةِ الأبيضُ، واضطربَ فمُها كأنّها تُحاولُ أن تُخفيَ ابتسامةً».

3 عيّنْ في ما يلي محلَّ كلٍّ من الكلمات المنصوبة والمشار إليها بخطٍّ، في الإعرابِ:
أتناولُ قليلاً من الشّاي معكَ – نظرتْ مليّاً إلى رسم مُعلّقٍ فوق بضع لوحاتٍ – عزيزي بول – ظلّت شتيلّا صامتةً – أدارتْ وجهها وبقيتْ جالسةً – سيكونُ لقائي إيّاهُ مُفجعاً – إنّ للرّجلِ زوجةً – جفّتْ وفرحْتُ في آنٍ معاً – نظرَ إليها بولُ نظرةً فارغةً، واصفرَّ وجهُه شفقةً عليها – يحوي عشرين رسماً – مَن صَنعَ هذا الرّسمَ؟ ينتشرُ الحبرُ مِلْءَ المدينةِ – لا يَستطيعُ شيئاً سِوى شراءِ الرّسم.

وأخيراً عاد إلى البيت

في الفَهمِ والتحليل

1 ما أبرزُ ما يُميّزُ الرّيفَ استناداً إلى مُشاهدات الشّابّ العائدِ إلى مَوطِنِه؟

2 «نقاوةُ الهواء كانتْ تُثيرُ فيه روعة الوُجود، وجلالَ الكيانِ،

وصفاءَ التّفكيرِ، وعظمةَ الحياةِ»؛ إشرَحْ هَذِهِ العبارةَ مُبيّناً مِن خلالِها مشاعرَ الشّابِّ.

3. ما الشُّعورُ الّذي عَبَّرَ عَنهُ الشّابُّ أَمامَ الرَّجلِ المُسِنِّ؟ وَهل بَدا صادقاً؟ علِّلْ إجابَتَكَ.
4. لماذا بَدا الشّابُّ كَمَن أَحسَّ بارتكابِ خطأٍ بالعَودةِ إلى ذَويهِ على هَذِهِ الصّورةِ المُفاجِئةِ؟
5. ما الصِّراعُ الّذي عاشَهُ الشّابُّ عِندَ اقترابِهِ مِن بَيتِهِ؟ وما سببُ هَذا الصِّراعِ؟
6. «لقَدْ عادَ إلى مَوطِنِهِ عَبْرَ مَسافاتٍ طويلةٍ قَطعَها سَيراً على القَدَمَينِ»؛ لماذا، في رأيكَ، لَم يَركبِ الشّابُّ سيّارةً أو حافلةً تَنقلُه إلى بلدتِهِ؟
7. أَتَعتقِدُ أنَّ الأسبابَ الّتي جَعَلَتِ الشّابَّ يُغادِرُ منزِلَهُ أسبابٌ تَستحِقُّ مِنهُ هَذا الهَجرَ، أَم إنَّها عواملُ نفسيّةٌ تَعتمِلُ في صدورِ الشّبابِ أحياناً، ثُمَّ تَزولُ مَعَ العُمرِ والتّجربةِ والنُّضْجِ؟ فسِّرْ رأيَكَ وعلِّلْهُ.
8. كيفَ تُفسِّرُ مَشاعرَ الشّابِّ مِن خِلالِ الفِقْرةِ الأخيرةِ مِنَ القِصّةِ؟

(2) مِن وَحْيِ النّصِّ

1. هَل حَبَّبَتْ إلَيكَ هَذِهِ القِصّةُ طبيعةَ الرّيفِ والحياةَ في القريةِ؟ لماذا؟
2. هَل تَعرِفُ بُقعةً في لبنانَ شبيهةً بالبُقعةِ الّتي وَصفَها الكاتبُ في أَحدِ البُلدانِ الغربيّةِ؟ أَينَ تَقعُ البُقعةُ اللُّبنانيّةُ؟ وما أَبرزُ ما يُميِّزُها؟
3. ما أَنواعُ الفاكهةِ الّتي يَشتهِرُ بها لبنانُ؟ ماذا تُحبُّ مِنها؟ ولماذا؟

4. أَيَحملُكَ المَلَلُ والفَقرُ على الرّحيلِ مِن بيتِكَ ووطنِكَ، كما فعلَ هذا الشّابُ، أَم تَجدُ لهُما حُلولاً أُخرى؟ وضِّحْ إجابتَكَ وعلِّلْها.
5. شعرَ الشّابُّ بالاستياءِ لأنَّهُ تَذكَّرَ أنَّهُ كانَ يَتصرَّفُ تصرُّفاتٍ تُزعجُ أُمَّهُ ولا تُرضيها؛ هَل تتصرَّفُ أنتَ مِثلَهُ أحياناً؟ وهَل تَشعرُ بالنّدمِ والاستياءِ لَو فَعلْتَ هَذا؟ علِّلْ إجابتَكَ.

③ في التّعبيرِ واللُّغةِ

1. إستخرِجْ مِنَ القصّةِ الصُّورَ والتّعابيرَ والتّصرُّفاتِ الّتي تُبيّنُ حنينَ الشّابِّ إلى بلدتِهِ وبيتِهِ وأهلِهِ.
2. إستخرِجْ مِنَ القصّةِ الحقلَ المُعجميَّ للطّبيعةِ والماءِ في الرّيفِ.
3. صِفْ لنا البيئةَ الّتي نشأتَ فيها، متحدِّثاً عَن بعضِ ذكرياتِكَ هُناكَ.
4. حوِّلِ العبارةَ التّاليةَ إلى صيغةِ المؤنَّثِ إفراداً فتثنيةً فجمعاً، مغيّراً ما يَلزمُ تغييرُه وضابطاً الكَلماتِ بالشّكلِ التّامِّ:
«كانَ يَخشى أَن يَراهُ أَحدٌ لأنَّهُ كانَ يَشعرُ بأنَّهُ سيُبادرُ إلى الفِرارِ في أيِّ لحظةٍ، على رُغمِهِ».
5. حدِّدْ محلَّ كلٍّ مِنَ الجُملِ الفعليّةِ المشارِ إليها بخطٍّ، في الإعرابِ:
لا تزالُ كما كانَتْ حينَ غادرَها – راحَ يَتنفَّسُ تنفُّساً عميقاً – لَم يَكُنْ قَد أَحسَّ بمِثلِ هَذا الشّعورِ – رأى رجلاً مسنّاً يُمسكُ بخُرطومِ مياهٍ يَسقي بهِ بعضَ الأزهارِ – كَم مضى عليكَ مِنَ الوقتِ ولَم تَشربْ؟ لَم أَعرفْ إنساناً آخرَ شَرِبَ مِثلَ هَذا المِقدارِ – كانَ يَبدو أنّكَ ستشربُ نبعَ الماءِ كلَّهُ.

6. علِّلْ كتابةَ الهمزةِ في كلٍّ مِنَ الكلماتِ التّاليةِ:
الظَّمأ – هادِئة – رائِعة – أبناؤُها – مِلْء – يُطفِئُه – ظَمَؤُه – يُبطِئ – الصّفاء – رُؤْية – شيئاً – يَملأُ.

7. علِّلْ كتابةَ التّاءِ مبسوطةً في الكلماتِ التّاليةِ:
الحنفيّاتُ – النّباتُ – صَوتٌ – شَرِبْتَ – خَطرَتْ – عُدْتُ – ذاتَ – خُطواتٌ – البيتُ – رَبَّتَ.

محتوى الكِتــابْ